قسم الأدب والنقد

الشاعر الجاهلي اغتراب وألم

إعداد

الدكتور

ياسر عكاشة حامد

مدرس الأدب والنقد بالكلية

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

قسم الأدب والنقد

الشاعر الجاهلي اغتراب وألم

د / ياسر عكاشة حامد

مدرس الأدب والنقد بالكلية

إن عملية الإبداع الشعري في كل العصور الأدبية يستحيل الفصل فيها بين النسيج الفردي والنسيج الجماعي، فالفردية المفترضة في كل العصور الأدبية لا يمكن لها إلا أن تمد جذورها في تربة الجماعية منطلقا وهدفا وفكرا، وهذه الجماعية في الإبداع لا يمكن أن تتحول إبداعا إلا حين تستمد مضمونها من عبقرية الإبداع الفردي ثم يكون التداخل والانفصال بين كونها عملا جماعيا أو فرديا.

ولعل الشعر الجاهلي صورة نادرة المثال من صور رضوخ الإبداع لجماعية روافد التكوين الفكري والفني، فالنص الجاهلي مثقل إلى حد الإغراق بهموم القبيلة ومعاناتها لا نستثني من ذلك هموم الشاعر نفسه ومعاناته، فهو لا يعدو إلا أن يكون جزءا لا ينفصل عن القبيلة حتى ليندر أن يواجه موقفا فرديا لا يطل منه وجه القبيلة في هذه الزاوية أو تلك.

وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت عبقرية الشعراء هي المعيار في النظر في النص الشعري، فالهم الجماعي المتحكم في تشكيل بنية النص لا يتحول تجربة شعرية إلا من الزاوية التي يختارها الشاعر، فضلا عن أن همومه الذاتية كانت تجد طريقها إلى ثنايا تلك البيئة الجماعية أو تستقل بنصوص خاصة بها.

وهذا يعني أنه على الرغم من تحكم التقاليد الفنية في العصر الجاهلي في تشكيل النص الشعري فإنها قد أتاحت للشعراء نوعا من حرية التعبير عن الذات

Scanned by CamScanner

من خلال تصوير آلامهم ومعاناتهم النفسية سواء مما يعانون من آلام الفراق والبين في بيئة قائمة على الترحال، أو من خلال معاناة التمرد والثورة على نظام اجتماعي يفتقد إلى كثير من قوانين الانضباط التي تحكم وتشكل حياة الأفراد في المجتمع، ولذلك كانت دراسة هذه التعابير الشعرية عن الذات من خلال دراسة نفسية الشاعر الجاهلي مما دفعه إلى الإحساس بالألم والاغتراب.

أولا : مفهوم الاغتراب وجذوره في الأدب العربي :

يقصد بمصطلح الغربة المعنى المباشر للفظ، ونعني به الاغتراب الذي يضطر إليه الإنسان بإرادته أو بغير إرادته، وهو مصطلح تنوعت مفاهيمه منذ القدم وحتى العصر الحديث [1] تنوعا كبيرا وذلك لأن الشعراء الذين ندرس إحساس الغربة في شعرهم لم يكن في مقدورهم فهم الاغتراب فهما يختلف عن ظروف عصرهم وثقافتهم، هذه الظروف التي تختلف عن ظروف الإنسان في العصر الحديث.

ولذلك لا يمكن إخضاع مفاهيم سائدة في عصر ما بعينها لمفاهيم محدثة جاءت نتيجة ظروف وثقافات محدثة مع إمكانية تمثل هذه المفاهيم في عصور مختلفة، فإن هذا التمثل مرتبط بتطور الزمان والمكان ومن ثم تطور الإنسان نفسه، فقد يتفق شاعران من من زمنين متباينين في الإحساس بالغربة والغيبة منها لكن الإحساس بأثر هذه الغربة ومواقعها يكون متباينا بين الشاعرين.

ومن هنا نلاحظ أن من الشعراء العرب مغتربين في أنحاء البلاد وغربتهم مستمرة عبر التاريخ لكن تفسير موقفهم من الإحساس بالغربة يختلف باختلاف

Scanned by CamScanner

دوافعها ودرجة تأثرهم بها، ومن الصعب أن نطبق على من اغترب من شعراء العرب في الجاهلية نفس مفهوم الغربة الذي ننظر من خلاله للغربة في شعر المهجريين في العصر الحديث)) (١).

ولا يزال مفهوم الاغتراب غامضا ونادرا ما يتفق الباحثون على تحديد مفهومه، والباحثون يذهبون مذاهب مختلفة في تعريفه، فلا يستطيعون تحديد أنواعه ومصادره ونتائجه السلوكية على الأفراد والمجتمع فيقعون في الخلط مما يزيد من غموض هذا المصطلح.

وهذا يجعل البحث عن مفهوم الاغتراب من أشق المهام التي تواجه الباحث، وأكثرها تعقيدا لما يكتسبه من مراوغة على الرغم من تناوله في جميع المجالات والنشاطات الثقافية والإنسانية ((وليس في الدراسات الحديثة ما يحدد تعريفه أو ما يبين كونه حالة مجتمعية، أو حالة شعورية نفسية عند الفرد، أو نوعاً معيناً من أنواع السلوك الفعلي، إذ ليس هناك تمييز واضح بين الصعيد المجتمعي والصعيد الشعوري والصعيد السلوكي)) (٢).

يقول أحد الذين بحثوا في خبايا هذا المصطلح " أن الكلمات شأنها شأن الأشخاص والشعوب لا تنشأ في فراغ وإنما تنشأ في قلب المجتمع البشري، ومن الصعب فهم دلالته حق الفهم بمعزل عن المشكلات الإنسانية والظروف التاريخية التي مرت بعصور من استخدموه من مفكرين وفلاسفة)) (٣).

---

(١) من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي د / محمد عويس ص ١٥١ ط دار الأنجلو.

(٢) الاغتراب سيرة مصطلح د/ محمود رجب ص ٨ ط دار المعارف ط٢ ١٩٨٦.

(٣) المرجع السابق ص ١٠.

Scanned by CamScanner

وإذا ذهبنا نبحث عن أصل هذه الكلمة في اللغة العربية وجدناها ترجع إلى لفظة ((غريب))، فلقد ورد في مقاييس اللغة لابن فارس في مادة غرب [1] ..." والغربة البعد عن الوطن، ويقال غرب الدار، وفي هذا الباب غروب الشمس كأنه بعدها عن وجه الأرض، وشأو مغرب أي بعيد."

وجاء في لسان العرب لابن منظور في مادة غرب [2] والغربة، والغرب: النوى والبعد وقد تغرب، قال ساعدة بن جؤية يصف سحاباً :

ما انتهى بصري وأصبح جالساً منه لنجد طائف متغرب

وكذلك جاء: والتغريب: النفي عن البلد، وغرب: أي بعد، ويقال أغرب عند أي تباعد وجاء في الحديث أنه أمر بتغريب الزاني، والتغريب النفي عن البلد الذي وقعت فيه الجناية، ويقال أغربه وغربته إذا نحّتهُ أبعدته، والغربة والغرب : النزوح عن الوطن والاغتراب.

وفي العصر الحديث يتطور مفهوم الاغتراب وفق مفاهيم محدثة جاءت نتيجة ظروف وثقافات محدثة، فتباينت المفاهيم الخاصة بمصطلح الاغتراب، إذ لما كان التطور الهائل في العصر الحديث في مختلف نواحي الحياة أصبح الإنسان المعاصر يعيش في عزلة دائمة ومستمرة، وأصبحت حياته منفصلة انفصالا لم يسبق له مثيل سواء عن الطبيعة أو عن المجتمع أو عن نفسه، ووصفت هذه الحياة بأنها مغتربة، والإنسان الذي يعيش فيها بمعاناته إنسانا مغتربا.

---

(١) مقاييس اللغة مادة غرب ط دار المعارف.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة غ ر ب ط دار المعارف.

Scanned by CamScanner

ومن هنا ترددت كلمة (الاغتراب) كثيرا في كتابات النقاد الاجتماعيين وفي أقوالهم حين ((يعرضون بالدرس والتحليل لظواهر مثل الهوة بين الأجيال أو الحرب والسلام، أو التفكير العقلي والتفكير الغيبي، أو العلاقة بين الماضي والحاضر أو الحرية والاستعباد، أو الإيمان والإلحاد، كذلك ترد الكلمة في معرض النقد الذي يوجه إلى الأجهزة السياسية، وإلى علاقة الفرد بالمجتمع، وإلى ما يسود علاقات الأفراد في عصرنا من سطحية ونفعية ولا إنسانية، وإلى عدم إحساس الإنسان المعاصر بما في الحياة من جدوى ومعنى)) (١).

ولقد كثرت آراء أصحاب المذاهب وتباينت حول مفهوم الاغتراب، والذي يعنينا هنا هو الاغتراب الإبداعي الذي يعنى بإحساس المبدع بالاغتراب في إبداعه الأدبي.

فالاغتراب يمثل تحقيق الذات والتعرف عليها، ويكون مرادفا للحرية والتحرر، والإنسان المغترب هو ((ذلك الإنسان المجذوب الذي يخرج عن ذاته إلى الحد الذي يعلو معه على نفسه فيصل في نهاية الأمر إلى الفناء فيما يجذبه ويستغرق اهتمامه كالمتصوف مثلا حين يبلغ مقام الفناء في الله، وإما إلى فقدان السيطرة تماما على نفسه وعلى أفعاله كالمجنون الذي يفقد الشعور بنفسه من حيث مركز تجربته.

وهذا المعنى النفسي للاغتراب لا ينفصل عن المعنى الاجتماعي باعتبار أن معظم المغتربين نفسيا هم أيضا من المغتربين اجتماعيا لأن اغترابهم النفسي واضطرابهم الذاتي كان من آثار نبذ المجتمع أو تجاهله لهم أو إهماله إياهم، ولذلك يستشعرون الغربية بين الآخرين وتجاهلهم، ويحسون باللانتماء إلى

---

(١) ظاهرة الاغتراب في فن التصوير المعاصر ص ١٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

Scanned by CamScanner

آرائهم، وعدم الاعتقاد في عقائدهم ومعتقداتهم الشائعة بينهم، ومن ثم لا يتوافر أي قدر من التوافق الاجتماعي ولا النفسي بينهم)) [1].

وهذا ما نجده في الاغتراب الإبداعي في مختلف العصور ((فالإحساس بالغربة له صوره المتباينة في أدبنا العربي منذ العصر الجاهلي، وهي صور توضح تباين التعبير عن الإحساس بالغربة لدى الإنسان العربي باختلاف مواقفه الحياتية، فمن يقرأ فواتح القصائد العربية الجاهلية، وحديث الشعراء عن الأطلال ورسومها الدارسة يحس بمشاعر الغربة يبثها الشعراء في صورهم)) [2].

ومثل هذا نجده عند امريء القيس حين يقول :

أجارتنا إن المزار قريب وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

فإن تصلينا فالقرابة بيننا وإن تهجرينا فالغريب غريب

فالشاعر هنا يعاني الاغتراب الممض حين أحس أنه عما قريب يفارق هذه الحياة حين فقد القدرة وشعر بالعجز عن الانتقام لوالده، فأخذت نفسه تسيل حسرات، وقلبه ينبض بالألم.

وغير ذلك كثير في الشعر الجاهلي على نحو ما يتبين في ثنايا هذا البحث.

---

(١) تأملات معاصرة في التراث الفكري الإسلامي د / سامي نصر لطفي ص ٢٩٠ ط مكتبة سعيد رأفت.

(٢) من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي د / محمد عويس ص ١٥٢ ط دار الأنجلو.

Scanned by CamScanner

وكذلك نجد هذا الإحساس بالاغتراب في العصر الإسلامي في شعر الفتوح الإسلامية في شعر المتخلفين عن المعارك حين يعايشون الآلام العميقة لفراق ذويهم، وفي شعر المجاهدين الذين يعبرون عن غربتهم وحنينهم إلى أوطانهم.

فهذا ورد بن الورد يضيق بغربته بين أناس ليسوا من قومه ولا من عشيرته، ويحن إلى حبيبته وديارة في بني كعب، فيصور فؤاده مصعدا مع المصعدين إلى أرض الوطن، قولا يجد خيرا في الدنيا إذا لم يزر فيها حبيبه فيقول[1] :

أمغتربا أصبحت في دار ألا كل كعبي هناك غريب
إا راح ركب مصعدون فقلبه مع المصعدين الرائحين جنيب
وإذا القليب الفرد من أيمن الحمى إليّ وإن لم آته لحبيب
ولا خيرفي الدنيا إذا لم تزر بها حبيبا ولم يطرب إليك حبيب

كما ظهرت ألوان من الاغتراب في الشعر الأموي كصورة الاغتراب التي نجدها عند الشعراء الخوارج والتي تتجلى في حديثهم عن مرارة الفقد والحديث عن الموت الذي طبع شعرهم بوافر النغم الحزين والألم الصارخ.

وفي دولة بني أمية بالأندلس نجد ((شعرا يجسد الاغتراب شعورا وألما،فقد أجبر بعضهم الاضطهاد إلى النزوح عن المشرق فارين إلى المغرب وبجناحهم الإحساس بالغربة،ويحنون إلى المشرق من جديد)) [2]

---

(١) معجم البلدان ليا قوت الحموي ٤/ ٩٠٦.

(٢) هاشم الرفاعي اغتراب وألم ص ٥١.

Scanned by CamScanner

ومن هذا ما ظهر في شعر عبد الرحمن الداخل أحد الخلفاء العظام في دولة الأندلس حين لم يلفته ألوان الحسن والجمال في طبيعة الأندلس وإنما لفته شجرة متفردة هيجت مشاعره وأثارت في نفسه الأشجان، فتدفقت عواطفه وأنشد يقول[1] :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض النشل عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطوي التنافي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

كما كثرت أشعار الاغتراب عند المتنبي وغيره من شعراء الدولة العباسية مثل قوله :

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني إن النفيس غريب حيثما كانا

وإذا تجاوزنا ذلك إلى العصر الحديث، فإننا نجد الكثير من الأشعار التي تفيض بالغربة وتكشف عن مدى هذا الشعور عند مختلف المدارس الشعرية، والأمثلة كثيرة عند شعراء المهجر ((فقد كان لغربتهم عن بلادهم وحنينهم الدائم مع صعوبة التكيف مع المجتمع الجديدة أثر كبير في عزلتهم وشعورهم بالوحشة)) [2].

وكذلك نجد مثل هذا الإحساس في أندلسيات شوقي التي يبدو فيها الإحساس بالغربة واضحا حين يضطرم الحنين إلى الوطن في نفسه.

---

(١) الأدب الأندلسي د / مصطفى الشكعة ص ١٣١ ط دار العلم للملايين ط٤ ١٩٧٩.
(٢) أدب المهجريين د / نظمي عبد البديع ص ٥٩٦ ط دار الفكر بيروت.

Scanned by CamScanner

ومن هنا يتبين لنا أن الاغتراب لا يمثل حالة فردية في مجتمع ما، أو في إبداع ما، وإنما هو ظاهرة إنسانية وجدت في كل المجتمعات بإبداعاته المختلفة، وفي مختلف العصور والأزمان مع اختلاف البواعث والأسباب في كل مجتمع وفي كل عصر، مع بروزه بجلاء ووضوح في الإبداعات الإنسانية التي تبلور صورة المجتمع في كل عصر.

Scanned by CamScanner

أسباب الاغتراب في الشعر الجاهلي

أولا : طبيعة البيئة الجاهلية:

لقد كان من الأسباب التي عمقت إحساس الشاعر الجاهلي بالاغتراب الدائم هي طبيعة البيئة التي يحيا فيها، فالإنسان الجاهلي بخاصة قد عاش في بيئة قاسية قسوة لا حدود لها، فطبيعة الحياة الصحراوية قد فرضت على أبنائها نوعا من العزلة والاغتراب حيث كان البدو يعتمدون على الرعي في حياتهم، وكانت حياتهم تتسم بالتنقل حيث منابت الكلأ التي هي مصدر الحياة مما جعل عملية الموائمة والوفاق بين الإنسان والأرض عملية منقطعة، فكلما تنقل الإنسان من مكان إلى آخر أحس بالغربة في ذلك المكان الجديد، فما يكاد يحدث التوائم بينه وبين المكان حتى ينتقل إلى مكان آخر ويتجدد إحساسه بالاغتراب مرة أخرى.

ويلخص لنا الأستاذ يوسف خليف الصورة الطبيعية للبيئة الجاهلية بقوله((والخطوط الأساسية لهذه الصورة هي أنها منطقة صحراوية جبلية عرفت الأغوار المنخفضة ذات الحرارة الشديدة، والجبال العالية ذات القمم الثلجية، وعرفت بينها مناطق رملية مترامية الأطراف كثيرة المجاهل والمخاوف، ثم هي منطقة عرفت الجدب الذي يتعذر معه الحياة حتى يضطر أهلها إلى الهجرة للخصب الذي يغري على الاستقرار.....، وكان لهذا التضاد أثر في نفوس سكان الجزيرة، فقد أوجد في شخصياتهم لونا من التضاد النفسي)) (١).

---

(١) الشعراء الصعاليك د / يوسف خليف ص ٧٢، ٧٣ ط اتلهيئة المصرية العامة للكتاب.

Scanned by CamScanner

فطبيعة البيئة من شأنها أن تخلق القسوة والعنف، وتحدث لونا من التضاد والتباين الي يجعل الإنسان الذي يستقر في مكان به خصب يعيش في تهديد دائم ممن يطمع في خير هذا المكان من القبائل، فيفتقد الشاعر معه الأمن والسلامة حين تتعرض القبيلة للسلب والنهب، وفي ذلك يقول الحادرة [1] :

ونقيم في دار الحفاظ بيوتنا زمنا ويظعن غيرنا للأمرع

فهذا يعني أن ((الموانع الطبيعية تتجسد في الجبال والصحراء الممتدة المخيفة التي تعج بالحيوانات المفترسة، ومعنى هذا أن الشاعر عاجز عن المواصلة بسبب المكان وما يمثله من امتداد وحواجز)) [2].

وفي هذا يقول المتلمس :

كم دون أسماء من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيس

ومن ذوي علم ناء مسافته كأنه في حباب الماء مغموس

فالمتلمس هنا يصور البيئة الوعرة التي تعوق اتصاله بمحبوبته، هذه البيئة التي تعجز الإبل الكرام عن اقتطاع طريقها والسير فيه، وجبل يبدو وكأنه غارق في بحر من الرمال.

وهذه البيئة الصحراوية كانت ((مليئة بالمخاوف والمخاطر إذ فيها غير قليل من الوحوش والسباع والحشرات والحيات، وفيها القفار الجرداء الزاخرة بالخنادق والمهاوي ورياح السموم، وفيها حنادس الليل المظلم المخيف التي كانت

---

(١) ديوان الحادرة ص ٥٣.

(٢) الأدب الجاهلي د / حسني يوسف عبد الجليل ص ١٦١ ط مؤسسة المختار.

Scanned by CamScanner

تلقي في روعهم بالخيالات والأوهام...،وفي تضاعيف ذلك كان العرب يتربص بعضهم ببعض)) (١).

وكثيرا ما كان الشاعر الجاهلي يحاول أن يتخذ من الكائنات الطبيعية ما يحميه من هذه البيئة ليخلع عن نفسه هذا الإحساس الممض بالاغتراب إلا أن هذه الوسائل تقف عاجزة عن حمايته ووقايته، فيقول أحيحة بن الجلاح :

وقد أعددت للحدثان حصنا لو أن المرء تنفعه العقول

طويل الرأس أبيض مشمخرا بلوح كأنه سيف صقيل

وقد كثرت محاولات الشاعر الجاهلي في التغلب على هذه البيئة الوعرة بما فيها من إحساس بالألم والسلب والقهر، فنجد الشنفرى يتخذ من اجتياز هذه البيئة المخيفة الوعرة رمزا لانتصاره عليها، فيقول [٢]:

وواد بعيد العمق ضنك جُمَاعَهُ مراصد أيم قانت الرأسِ أخوفُ

وحُوشٍ موي زادِ الذئاب مضلّة بواطنه للجن والأسد مألفُ

تعسفتُ منه بعدما سقط الندى غمالِيلَ يخشى عيلها المتعسفُ

فهنا نجد أن ((مواجهة المكان بما يمثله من وعورة وخوف وخطر يبدو وكأنه مواجهة للزمان في نفس الوقت، أو هي موجهة للمكان المتزمن الذي التحم فيه الزمان والمكان فأصبحا مصدرين للإحساس بفجيعة الحياة، ومن ثم أصبحا دافعين وحافزين للإنسان في مواجهة القهر الذي يفرضانه عليه)) (٣).

---

(١) العصر الجاهلي د / شوقي ضيف ص ٧٨ ط دار المعارف.

(٢) ديوان الشنفرى ص ٣٨، ٣٩.

(٣) الأدب الجاهلي د / حسني عبد الجليل ص ٤٢٨.

Scanned by CamScanner

وكذلك نجد عمرو بن قميئة في محاولته للتصدي لقسوة الطبيعة يكشف عن محاولته التكيف والمعايشة لهذا الواقع القاسي عله يخفف من أحزانه وآلامه، فيقول [1] :

إذا النجم أمسى مغرب الشمس رابئا ولم يك برق في السماء يليحها
وغاب شعاع الشمس في غير جلبة ولا غمرة إلا وشيكا مصوحها
وهاج عماء مقشعر كأنه نقيلة نعل بان منها سريحها
إذا عدم المحلوب عادت عليهم قدور كثير في القصاع قديحها

فالشاعر هنا يكشف من خلال الشرط المطول في أول النص عن الأثر السيء للطبيعة على الناس، ويأتي جواب الشرط مؤكدا محاولة الإنسان في مواجهة القحط والعواصف، وانعدام المحلوب الذي يمثل مصدرا للطعام في هذه البيئة الصحراوية القاسية.

فالشاعر في هذه المواجهة والتصدي للطبيعة الصحراوية القاسية ((امتزج فكره وخلقه بهذه الصحراء،وشكلت تلك البيئة على نحو ما ـ اتجاها خاصا فرضته على هذا الإنسان الجاهلي اتجاها حتميا لم يستطع إلا أن يسير فيه)) [2].

وفي هذا ما يدل على حرص الشاعر الجاهلي على الحياة حين تصدى لهذه الطبيعة القاسية وتوافق معها وتواءم للحياة بين أرجائها، وحين تعصف به هذه البيئة الوعرة القاسية يتلطف إليها محاولا أن يتخذ من عناصرها ما يعينه على

---

(١) ديوان عمرو بن قميئة ص ٢٦.

(٢) الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي د / صلاح عبد الحافظ ص ٤.

Scanned by CamScanner

التصدي لها، وإن كان ذلك يعمق الإحساس بالألم والاغتراب في نفس الشاعر الجاهلي.

ثانيا : علاقة الشاعر بالمجتمع:

وهذا يعني موقف الشاعر من المجتمع الذي يعيش فيه ومدى ارتباطه به أو النفور منه والتمرد عليه، فالقبيلة في العصر الجاهلي هي البناء الاجتماعي الأساسي الذي تقوم عليه الحياة الجاهلية، إذ تعني تكوينا اجتماعيا يضم أسرا تنحدر من أصل واحد، ولها نظامها السياسي الذي يحكمها، فضلا عن القوانين التي يلتزم بها أبناء القبيلة، وكان الأساس الذي يقوم عليه النظام القبلي هو العصبية، وهو ((أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين، وليس له أن يتساءل : أهو ظالم أم مظلوم)) (١).

ولقد تكونت طبقات المجتمع الجاهلي من الصرحاء والموالي والعبيد، فالصرحاء هم أبناء القبيلة الذين لا تشوب أنسابهم شائبة، ومنهم تتكون الطبقة العالية في القبيلة، وقد ((تضطر القبيلة تحت وطأة ظروف معينة إلى خلع أحد أفرادها، أي أنها تحرمه عطفها وعصبيتها عليه)) (٢).

وهذا الخلع له أسبابه المتعددة، ولعل من أهمها أن يكون الشخص المخلوع قد ((أجرم أو عمل عملا ينافي شرفه وشرف قبيلته، واستمر في غيه لا يسمه

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٤ / ٣٩٢ ط الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٢) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية د / كريم الوائلي ص ١٥٩ ط دار العالمية للنشر.

Scanned by CamScanner

نصائح أهله وعشيرته)) [١]، وكانوا ((يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعهم، وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى فتجيره، وبذلك صبح له حق التوطن في القبيلة الجديدة، كما يصبح من واجبه الوفاء بجميع حقوقها مثله مثل أبنائها)) [٢].

وفي ذلك يقول طرفة بن العبد في معلقته :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريقي ومتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأُفردتُ إفراد البعير المُعبَّد

فهو يبين نفور قبيلته منه لإدمانه شرب الخمر حتى تجنبته العشيرة كلها وأفردته إفراد البعير الأجرب.

أما طبقة الموالي فتتكون من العربي الحر الذي لجأ إلى قبيلة أخرى غير قبيلته لأي سبب كان سواء أكان خلعا أم غيره، ويدخل معهم الرقيق الذي يمن عليه مالكه بالحرية والعتق، ويمكن أن يكون المولى عربيا أو أعجميا، ولكنه في كلتا الحالتين ((أقل شأنا في مجتمعهم من الأحرار، إذ نظر إليهم على أنهم دون العرب الأحرار في المكانة، ولها قلما زوج الأحرار بناتهم للموالي)) [٣].

وهذا يعني أن ((طبقة الموالي في القبيلة العربية كانت ترجع إلى أصلين أحرار، وعبيد، أما الأحرار فه اللاجئون إلى القبلة، أو إلى أحد أفرادها من

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/ ٤١٠.
(٢) العصر الجاهلي د / شوقي ضيف ص ٦٧ ط دار المعارف ط١٤.
(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ / ٣٦٨، ٣٦٩.

Scanned by CamScanner

خلعاء القبائل طالبين الحماية والنصرة، وكانوا يسمون أحيانا الحلفاء، وأما العبيد فهم أولئك الذين أعتقهم سادتهم من نير الرق، فظلوا مرتبطين بهم برابطة الولاء)) (١).

والعبيد هم أدنى طبقات المجتمع القبلي إذ يقومون بالخدمة التي يأنف الإنسان الحر من ممارستها ((وقد كان العبد ملكا يباع ويشترى بيع الأموال المنقولة، ويتصرف صاحب العبد به تصرفه بملكه الخاص، ولم يخول القانون حتى إبداء رأيه في مستقبله في أي حال من الأحوال، لأنه ملك وبضاعة مملوكة كالماشية، وإن كان إنسانا حيا له ما لكل إنسان من روح وإدراك وشعور)) (٢).

وهذا الانقسام الاجتماعي أتبعه انقسام من الناحية الاقتصادية، حيث انقسم المجتمع الجاهلي إلي طبقتين : طبقة الأغنياء التي تملك الأموال وتسيطر على مظاهر الحياة بكل ألوانها وأشكالها، وطبقة الفقراء المعدمين الذين يكابدون شظف الحياة وقسوة الجوع ومرارة الفاقة، فكانوا يعيشون على هامش الحياة، وقد أسهم هذا البناء الاجتماعي في تعميق الفوارق الحادة بين طبقات المجتمع الجاهلي مما دفع إلى الإحساس بالظلم من هذا النظام فاستتبع ذلك ظهور الإحساس بالاغتراب والألم كظاهرة اجتماعية جديرة بالدرس والتأمل.

ولما كان الشاعر فرد متميز فإنه ((يعكس في شعره رؤية خاصة من المجتمع، فالشاعر عضو في المجتمع تشكلت رؤيته منة خلال مقومات وقيم

---

(١) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي د / يوسف خليف ص ١٠٨ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ / ٥٥٥.

Scanned by CamScanner

اجتماعية، ومن هنا كان موقف الشاعر تمثيلا لموقف المجتمع من نفسه أو موقف الضمير من الإنسان)) (١).

ولذلك كان العلاقة بين الشاعر والمجتمع علاقة وثيقة باعتبار أنها علاقة فرد بجماعته التي ينتمي إليها ويعيش بينها، كما أن العلاقة بين الشعر والمجتمع علاقة وثيقة أيضا بوصف الشعر مظهرا من مظاهر ثقافة المجتمع.

وأحيانا كانت هذه العلاقة الوثيقة بين الشاعر والمجتمع الذي يعيش فيه تصل إلى حد التوتر والانقطاع بسبب بعض الأنظمة الاجتماعية التي يرى فيها الشاعر ظلما لذاته، واتضح ذلك في التناقض الكبير في المجتمع الجاهلي وما خلفه من فوارق كبيرة بين طبقات المجتمع، فأحدث ذلك لونا من التمرد وعدم الرضا والتوائم مع هذا المجتمع، فكان خروج بعض الشعراء على هذا المجتمع لإحساسهم بالاغتراب داخل حدوده وعدم التكيف مع أنظمته الظالمة من وجهة نظر الشعراء.

ولقد مثل هؤلاء الشعراء طائفة الشعراء الصعاليك الذين وجدوا أنفسهم في وضع لم يستطيعوا فيه أن يتوافقوا مع أنفسهم في إطار العلاقة الاجتماعية السائدة في المجتمع الجاهلي، وفقدوا التكيف مع الجماعة مما أدى إلى خروجهم على المجتمع والتمرد عليه، وعمق في نفوسهم الإحساس بالاغتراب، وعدم التكيف مع هذا المجتمع بأنماطه السائدة.

وهؤلاء الشعراء الصعاليك نشأوا في بيئة مرهقة لشعراء أصابهم الشرود لعشقهم الحرية فكرة ومنهجا، ولا يستقرون على نسق حياتي

---

(١) الأدب الجاهلي د / حسني عبد الجليل ص٢٢.

Scanned by CamScanner

رتيب، فخرجوا عن المنظومة القبلية التي تشكل الفرد رؤيـة الجماعـة بقـوة جسدية ونفسية، ووعي شعري لم ينسجم بهمـا مـع الأعـراف والـنظم التـي اعتادت عليها القبيلة العربية رغبـة مـنهم فـي تحقيـق ذاتهـم ووجـودهم، ففارقوا القبيلـة بنظمهـا وهيكلهـا إلـى أعمـاق الـصحراء حيـث يعـيش الوحوش، ينتخبون لأنفسهم مجتمعا بديلا يختاره بإرادته، ويتحـرر فيـه مـن سلطوية الآخر، وتتفاعل فيه الذات مع البيئة تفاعلا يخلق عالمـا تـذوب فيـه المتناقضات.

فهذا تأبط شرا يعبر عن هذه الحياة بقوله :

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا

وأين فتى لا صيد وحش يهمه فلو صافحت إنسا لصافحنه معا

وكذلك الشنفرى يعبر عن تمرده على هذه الحيـاة ويقطـع انتمـاءه بقبيلـة بصورة غريبة مليئة بالحزن والألم حين يقطـع علاقتـه بالقبيلـة وبـالمجتمع وأرضه قطعا تاما ليستبدل بهما أرضا يجد فيهـا الأمـن والطمأنينـة ــ كمـا يعتقد ــ ومجتمعا لا يعرف الكذب والخداع وإفـشاء الـسر والغـدر والظلـم، فأرضه الجديدة هي كل أرض لا يجد فيه الخـوف ولا يحـس فيهـا بـالقلق، ومجتمعه الجديد الذي انتمى إليه هو عـالم الحيـوان وهـو يمتـاز بالـصدق والوفاء والأنس، ويحرص على كرامته التي افتقدها فـي ظـل النظـام القبلـي الذي كان يعيش فيه سابقا، فيقول[1]:

---

(١) الأمالي لأبي علي القالي ص ٢٠٣ ط دار الكتاب العربي بيروت.

Scanned by CamScanner

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزّل
لعمرك ما بالأرض ضيق على امريء سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل
ولي دونكم أهلون سيد عملّسٌ وأرقطُ ذهلول وعرفاء جيْألُ
هم الرهط لا مستودع السر ذائعٌ لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخذلُ

وعلى الرغم من هذه الثورة والتمرد على المجتمع، فإننا لا نعدم أن نجد من بين هؤلاء اللصعاليك من يحن إلى وطنه وذويه متلهفا على ذكرياته القديمة بكل ما فيها من لحظات فرح ضائعة، فهذا قيس بن عيزارة يقول في حنينه إلى وطنه[1] :

سقى الله ذات الغمر وبلا وديمة وجادت عليها البارقات اللوامع
بما في مقناة أنيق نباتها مرَبٌّ فترعاها المخاض النوازع
لها هجلات سهلة ونجادة دكادك لا لا توبي بهن المراتع
كان يلنجوجا ومسكا وعنبرا بأشرافه طلّت عليه المرابع

ويظهر قيس في القصيدة نفسها حزنه على فراق أهله ونسائه وأرضه وأن بناته وأهله سيبكون عليه فيقول :

وقال نساءٌ لو قتلت لساءنا سواكنَّ ذو الشجو الذي أنا فاجع
رجال ونسوان بأكناف راية إلى حثن ثمَّ العيون الدوامع

(١) ديوان الهذليين٢ / ١٠٤ ط الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة.

Scanned by CamScanner

ومن هنا يتبين أن علاقة الشاعر بالمجتمع الذي يعيش فيه بما فيه من نظم وقوانين قد لا يرضى عنها بعض الشعراء، وكذلك علاقته بالقبيلة التي يعيش بين أبنائها فرد من أفرادها قد يكون سببا في إحساسه بالاغتراب عن هذا المجتمع والتمرد على هذه القبيلة كما بينا.

ثالثا : التفكير في الموت :

لقد أرق الموت بال الإنسان، وشغل تفكيره المصير المحتوم الذي أثار في أعماق نفسه المضطربة تساؤلات كثيرة عن جدلية الموت والحياة، وسر الفناء وغاية الزوال، وقد برز ذلك في مختلف ثقافات الشعوب وفلسفاتها وأساطيرها عن قضية الموت.

وكان الشعر من بين الفنون الإبداعية التي عبرت في خطرات فكرية وتأملات ذهنية عن الموت والحياة، وقد أطلق الشعراء كثيرا من التعبيرات والتجارب معبرا عن حقائق هذا الوجود وفنائه.

والشاعر الجاهلي عني بأمر الموت كسائر الناس، ومضى به تأمله الفكري إلى أدران حقيقة الحياة في صرها ومحدودية أيامها، فهي كالكنز تنقص ولا تزيد كما قال طرفة بن العبد [1]:

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ١٣.

Scanned by CamScanner

وبدت له الحياة كثوب معار في إشارة إلى عدم امتلاكها، والإقرار بأن مصير الإنسان إلى زوال، وأن قدره أن يسلك درب المنية فيلحق بالذين سبقوا كما يقول [1] :

ولقد علمت بأن كل مؤخر يوما سبيل الأولين سيتبع

ولقد علمت لو ن علما نافعا أن كل حي ذاهب فمودع

وهذا الانشغال والتفكير في أمر الموت أوقد في نفس الشاعر الجاهلي جذوة قلق لا يسكن أفسد عليه متعة الحياة وكدر صفوها، مما دفعه إلى الإحساس بالاغتراب، فهو يشعر بالغربة في هذه الحياة إذ يصرعه الموت في أية لحظة، ويباغته الردى في غفلة حتى أحس بالوحشة في منزله العامر فلا مؤنس فيه ولا أنيس، فمنزله حفرة تسفى عليها الرياح يهجع فيها جثة هامدة لا تسمع ولا تجيب، إنه الشعور بالموت والفناء الذي عبر عنه المثقب العبدي بقوله [2] :

ولقد علمت بأن قصري حفرة غبراء يحملني إليها شر موجع

فبكى بناتي شجوهن وزوجتي والأقربون إلي ثم تصدعوا

وتركت في غبراء يكره دورها تسفي عليها الريح حين أودع

حتى إذا وافى الحمام لوقته ولكل جنب لا مخافة مصرع

بنذا إليه بالسلام فلم يجب أحد وصم عن الدعاء الأسمع

---

(١) السابق ص ٣٥.

(٢) ديوان المثقب العبدي ص٧٦.

Scanned by CamScanner

فالشاعر الجاهلي يدرك أن كل يوم يمر من حياته يمثل قربا من نهايته المحتومة، يقول حاتم الطائي [1] :

يسعى الفتى وحمام الموت يدركه وكل يوم يدني للفتى الأجل

ويقول عدي بن زيد العبادي :

كيف يرجو المرء فوتا للردى وهي في الأسباب رهن مختبل

كلما أخلفت يوما فمضى زاده ذلك قربا في الأجل

فكأن إحساس الشاعر بالغربة مرتبط بالإحساس بالموت والفناء، ولقد كانت حياة الشاعر الجاهلي وبقاؤه بمثابة الممكن الوحيد في مواجهة الفناء والموت الذي يتهدد الأحياء جميعهم، ولهذا فإن ((فقدان الإحساس بغائية الوجود جعل القلق والخوف من الموت يسيطران على وعي الشاعر بدرجة كبيرة)) [2].

فالإحساس بالاغتراب وما يستتبعه من التأمل والتفكير في الموت والحياة قد تأصل في نفس الشاعر الجاهلي بصورة واضحة، ولكنه لم يمثل فلسفة خالصة أو اتجاها فلسفيا، وهذا ما بيته الأستاذ احمد أمين حين يقول : ((ولا نعتقد بقول الذين يبحثون عن أبيات من الشعر الجاهلي وجدت فيها خطرات فلسفية، فيزعمون أنها مذاهب فلسفية....، فإن هناك فرقا كبيرا بين المذهب الفلسفي، وخطرة فلسفية، فالمذهب الفلسفي نتيجة البحث المنظم، وهو يتطلب توضيحا للرأي وبرهنة عليه ونقضا للمخالفين وهكذا، وهذه المنزلة لم يصل إليها العرب في الجاهلية، أما الخطرة الفلسفية فدون ذلك لأنها لا تتطلب إلا التفات الذهن إلى معنى يتعلق

---

(١) ديوان حاتم الطائي ص ٣٨.

(٢) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص د/ حسني عبد الجليل ص ٣٠٣ ط المختار.

Scanned by CamScanner

بأصول الكون من غير بحث منظم وتقنين وتفنيد، وهذه درجة وصل إليها العرب)) [1].

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الشعراء الجاهليين ((لم يقصدوا إلى التفلسف وإن كانوا قد أداروا قدرا من شعرهم حول تأمل الكون والموت والحياة والزمن، كما أنه راجع أيضا إلى طبيعة الشعر، فالرؤية الفلسفية تتحول على يد الشاعر إلى رؤية شعرية بمعنى أنها تصبح تكوينا فنيا له إطار خاص)) [2].

ونلاحظ أن إحساس الشاعر الجاهلي بغربته نابع من إدراكه بحتمية الموت، إذ كان على يقين بأن الموت منهل يرده الجميع، ولا يمكن للمرء أن ينجو من سهامه.

وقد تحدث عن هذه الحقيقة أكثر من شاعر، فهذا طرفة بن العبد يجد الإنسان مقيدا بحبال المنية، ولا خلاص له منها، فيقول [3] :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

وكذلك أبو ذؤيب الهذلي يتأمل الحياة من حوله، وكيف تفتك المنية بالناس ؟ ولا تجد منهم من يقوى على رد غائلة الموت، فلا التمائم تنفع ولا التعاويذ تجدي إنها قوة الحتمية المطلقة، فيقول بصيغة المستسلم العاجز :

---

(١) فجر الإسلام أحمد أمين ص ٤٩ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) الأدب الجاهلي د / حسني عبد الجليل ص ٣٠٥.

(٣) ديوان طرفة بن العبد ص ١٥.

Scanned by CamScanner

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وبلغ الاستسلام لحتمية الموت درجة من الاعتقاد بأن الموت سيطال الإنسان ولو صعد إلى السماء أو احتمى في القلاع والحصون، فلابد أن تنالـه أسـباب المنايا كما يرى زهير بن أبي سلمي حين يقول :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

ومن خلال هذا الإحساس بالقلق والخوف الذي خلف في نفـسه الإحـساس بالاغتراب استندت رؤية الجاهلي إلى الظواهر الكونية، ولهذا فإنهم أشاروا إلى الدهر بأهم صفاته بوصفه فاعلا محدثا للتغير، فهو الأيام والسنون والعـصور، فيقول امرئ القيس [١] :

ألا إنما الدهر ليال وأعصر وليس على شيء قديم بمستقر

ويقول أبو ذؤيب الهذلي [٢] :

هل الدهر إلا ليلة ونهارها وإلا طلوع الشمس ثم غيارها

كما يقول أيضا [٣] :

والدهر لا يبقي على حدثانه في رأس شاهقة أعز ممنع

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٤١.

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢٢١.

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٤١.

Scanned by CamScanner

ويقول ذو الإصبع العدواني [١] :

أهلكنا الليل والنهار معا والدهر يغدو مصمما جزعا

ومما يزيد من الألم والحزن والضياع ويعمق الاغتراب في نفس الشاعر الجاهلي اليقين بأن الناس يفنون والدهر باق لا ينفد، يقول حاتم الطائي [٢] :

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد كذاك الزمان بيننا يتردد
يرد علينا ليلة بعد يومها فلا نحن ما نبقى ولا الدهر ينفد
لنا أجل إما تناهى إمامه فنحن على آثاره نتورد

فالزمان جديد دائما، قادم أبدا لا يفنى ولا يبلى وإنما الناس هم الذين يفنون، يقول زهير [٣] :

بدا لي أن الناس تفنى نفوسهم وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا

ففي ((مواجهة استمرار الزمن وخلوده، وفناء الإنسان وموته، يبدو الإنسان نقطة صغيرة في محيط واسع، تهدده أمواج الفناء وينتظره الضياع والنسيان، ولا يبقى أمام الجاهلي سوى لحظات قصيرة تمثل حاضره، وهو لا يجد غير الفعل وسيلة يملأ بها هذا الحاضر، ويتمخض عن ذلك نزوع نحو الإغراق في المتعة الحسية أو المتعة المعنوية)) [٤].

---

(١) شعراء النصرانية ص ٦٢٩.

(٢) ديوان حاتم الطائي ص ٤٧.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٨٥.

(٤) الأدب الجاهلي د / حسني عبد الجليل ص ٣٠٩.

Scanned by CamScanner

فالإحساس بالفناء واستحالة الخلود دفع الجاهلي إلى نوع من الإغـراق فـي طلب اللذة، فعبيد بن الأبرص يقول [١] :

تزود من الدنيا متاعا فإنه على كل حال خير زاد المزود

وينطلق امرئ القيس إلى الدعوة لانتهاز فرصة الحياة والتزود بالملـذات فيقول [٢] :

تمتع من الدنيا فإنك فان من النشوات والنساء الحسان

من البيض كالآرام والأدم كالدمى حواصنها والمبرقات الرواني

وتتكامل هذه النظرة إلى التزود من المتع الحسية عند طرفة بن العبد، ((فنراه يتخذ من استحالة الخلود منطلقا للمتعة والحياة اللاهية، فما دام الإنسان لن ينـال الخلود، ما دامت الحياة قصيرة، والعيش كنزا ينقص كل ليلة، فإن على المرء أن يروي نفسه في حياته ويشبعها من ملذات الحياة)) [٣].

فنراه يقول [٤] :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فذرني أبادرها بما ملكت يدي

كريم يرى نفسه في حياته ستعلم إن متنا غدا أينا الصدي

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٣٠.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٢٠٦.

(٣) الأدب الجاهلي ص ٣٤٧.

(٤) ديوان طرفة بن العبد ص ٥٠.

Scanned by CamScanner

فالشاعر الجاهلي في صراع دائم بين التفكير في الموت وبين محاولة التمتع بملذات الحياة، ولذلك فهو دائم الإحساس بالشقاء والاغتراب، فالحياة وما يرتبط بها من نعمة وسعادة منشودة هي مجرد متعة حسية عابرة، وأن الثابت الوحيد هو الموت والفناء.

ومن خلال هذا الإحساس والصراع الدائم في نفس الشاعر الجاهلي، والتأمل والتفكير في الموت مع فقدان الدين إذ تعددت الآلهة واختلفت الطقوس، مع افتقاد المجتمع العربي قبل الإسلام إلى دين عام أو شبه عام ينظم حياتهم، ويوجه تفكيرهم يتعمق الإحساس بالقلق والخوف ومحاولة الهروب من هذه الصراعات النفسية التي انتابته إلى الإحساس بالاغتراب في هذه الحياة بما فيها من اضطرابات وصعوبات وأهوال، مع ظهور الإحساس بالألم الممض في نفس الشاعر الجاهلي على نحو ما سيتضح في دراستنا لمظاهر الاغتراب في ثنايا البحث.

Scanned by CamScanner

مظاهر اغتراب الشاعر الجاهلي

أولا : الاغتراب والطلل :

يمثل مطلع القصيدة أو مقدمتها عنصرا هاما في القصيدة العربية القديمة، إذ أن ((المطلع أول ما يواجه السامع من القصيدة، وهو بهذا الاعتبار يحتل الأهمية الأولى من عناصرها، ولابد أن الشاعر يراعي ذلك فهو بمثابة العنوان للقصيدة أو المدخل إليها، ولذلك نلحظ أنه يحاول أن يحشد فيها أجود ما لديه من معان وحسن صياغة)) (١).

ولهذا فقد نال مطلع القصيدة اهتمام الأدباء والنقاد قديما وحديثا، ((فأما في القديم فنجد اهتمامهم بالمطلع لذاته ملحوظا، فإن نقدهم للمطلع جيده ورديئه كان من أقدم ما وصل إلينا من نقدهم للشعر، وكان اهتمامهم به أوضح من اهتمامهم بالعناصر الأخرى في القصيدة، وقد عقدوا فصولا خاصة للموازنة بين ابتداءات الشعراء ومطالعهم، كما فعل الآمدي في موازنته بين مطالع أبي تمام والبحتري)) (٢).

أما في العصر الحديث فقد انشغل كثير من النقاد بمطلع القصيدة الجاهلية، واتفقوا على أن القصائد الجاهلية في جملتها تفتقر إلى الوحدة الموضوعية والعضوية، دون أن يلتفتوا إلى ما يمكن أن يسمى بالوحدة الشعورية أو الوحدة النفسية التي أشار إليها د/ حسين عطوان وبين أنها ((وحدة تصعب على القارئ العادي أو على الباحث المتسرع استظهارها وتمثلها، ويتعذر عليه شرحها

---

(١) مطلع القصيدة العربية د / عبد الحليم حفني ص ٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) المرجع السابق ص ٤.

Scanned by CamScanner

وتفصيلها، لأنها تحتاج إلى دراسة القصائد دراسة متأنية واعية، وإلى معرفة دقيقة وافية)) (١).

وهذا ما أشار إليه الدكتور عبد الحليم حفني حين جعل نفسية الشاعر هي النقطة الجوهرية في فهم مطلع القصيدة العربية حين أشار بعد أن عرض لتفسيرات النقاد المحدثين والمستشرقين حول مطلع القصيدة، إلى أن ((كل التفسيرات السابقة تحاشت أحيانا من غير قصد، وأحيانا عن قصد واضح كما في اتجاه معظم العلماء العرب من القدماء والمحدثين، وأحيانا عن هوى في نفوس بعض المستشرقين جار بهم عن الغاية الصحيحة، رغم أن بعضهم بدأ تفكيره في فهم المطالع بداية سليمة، أقول كل هذه التفسيرات تحاشت النقطة الجوهرية في فهم مطلع القصيدة العربية، وهي نفسية الشاعر وأحاسيسه، وانفعالاته نحو موضوع القصيد وملابساتها)) (٢).

فالمنهج النفسي في تحليل المطالع للقصيدة العربية القديمة له دور كبير في فهم القصيدة ومكوناتها وملابساتها وظروفها مما يعين على فهم نفسية الشاعر، وما يدور في مخيلته ودخيلة نفسه من مشاعر وأحاسيس وانفعالات، وما يهدف إليه الشاعر بما أودع قصيدته من رموز وإشارات وتعابير فنية.

وتعد المقدمة الطللية بما تحمله من دلالات ذا أبعاد نفسية محورا هاما داخل الإطار النفسي العام بما تحمله من طابع نفسي يكشف عن مكنونات النفس الجاهلية في أبعادها المرتبطة بالمكان والمتمثل في بقايا الديار.

---

(١) راجع مقال ((الوحدة النفسية في القصائد الجاهلية)) د / حسين عطوان مجلة العربي الكويتية ص ١٢٤ عدد ١٩٠ سنة ١٩٧٤.

(٢) مقدمة القصيدة العربية د / عبد الحليم حفني ص ٥.

Scanned by CamScanner

ولقد كانت إشارة ابن قتيبة في حديثه عن النسيب في القصيد الجاهلية من بواكير القراءات التي حاولت أن تربط المقدمة الطللية في القصيدة الجاهلية بالجو النفسي العام سواء أكان للشاعر أم للمتلقي حين يقول : ((إن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار، فبكى وشكى، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها)) (١).

فقد اعتبر لجوء الشاعر الجاهلي للمقدمة الطللية في صدر قصائده عاملا لذكر رحيل أهل الديار من مكان لآخر بحثا عن المرعى، وأن الشاعر إنما عمد إلى النسيب كأسلوب للتعبير، حيث كان يهدف إلى استمالة القلوب، وصرف الوجوه إليه ليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، ومشاركته آلامه وأحزانه التي كانت سببا في إحساسه بالاغتراب عن هذا الواقع الملىء بالترحال والفراق والبين والأنين.

ولعل هذا ما دفع أحد الأساتذة إلى تعليل افتتاح الشاعر الجاهلي قصائده بالبكاء على الأطلال كثيرا، وشيوع هذا في القصائد الجاهلية بقوله : ((ولعل السبب أن العربي في هذه الصحراء الموحشة كان يحس بالخوف يتهدده، ويحوطه ويضغط عليه، ويلح على نفسه إلحاحا شديدا)) (٢).

وهو بذلك يتفق مع ما ذهبنا إليه في مطلع البحث من أسباب الاغتراب، وذلك لأن ((الشاعر في هذه الصحراء باعتباره إنسانا كان يتجاذبه عاملان قويان، عامل الفناء وعامل البقاء، فعامل الفناء يجعله يخاف، ويضطرب ويحس بالموت يسد عليه منافذ الطريق، ويحيط به كل مسلك، وكان عامل الفناء يلح عليه أكثر

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٥/١ تحقيق أحمد محمد شاكر ط دار المعارف.

(٢) من الظاهر الفنية في الشعر الجاهلي د /سعد ظلام ص ٤٥ ط مؤسسة يوم للمستشفيات.

Scanned by CamScanner

من عامل البقاء، وكان يتمثله في كل ما يحيط به في كل مظاهر الحياة تقريبا، وكان يراه في الأهل الأقربين عندما يرحلون قهرا، وفيهم أترابه وأصدقاؤه وحبيبته، وفي مضارب القوم حين يعصف بهم المطر الشديد والريح العاصفة التي تقتلع الخيام، وتكفئ القدور، فلا يستطيع معارضتها أو التصدي لها، وتظل تلح عليه حتى تبلى وحتى تنال منها ما تنال)) (١).

ومن هنا فق اتضح أن المقدمة الطللية مظهرا كبيرا من مظاهر إحساس الشاعر الجاهلي بالاغتراب، إذ أنها ((أفجع تجاربه التي عاشها في غربته الدائمة بهذه الصحراء، فنراه يعبر عن انقضاء الزمن بالانتقال والارتحال، ويشكو دائما من القطع والصرم، وإذا تحدث عن الحب فإنه يتحدث عن الحب القديم باعتباره حبا ضائعا ومفقودا، وغير ذلك من الأحاسيس)) (٢).

ولذلك فإن أو ل ما يطالعنا من آلام الشاعر الجاهلي وأحزانه صورة الطلل التي تواجهنا في مقدمات القصائد، وهي من أقدم صور الشعر الجاهلي التي خرجت منها الصور الأخرى التي تؤلف أغراض القصيدة الجاهلية المعروفة.

ولم تكن مقدمة القصيدة الجاهلية ت في حقيقة الأمر– إلا فرصة يتخفف فيها الشاعر الجاهلي من الالتزامات القبلية التي كان يفرضها عليه العقد الاجتماعي بينه وبين قبيلته، وفيها يفرغ الشعراء للتعبير عن ذواتهم وشخصياتهم في محاولة لتحقيق وجودهم الضائع في زحمة هذه الالتزامات.

ولقد وجدت المقدمة الطللية هوى شديدا في نفوس الشعراء الجاهليين لارتباطها ببيئتهم المادية، وطبيعة حياتهم الاجتماعية، كما أنها فرصة سانحة

---

(١) المرجع السابق ص ٦٥.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بجرجا ص ٢٨٨ العدد الثامن سنة ٢٠٠٤.

Scanned by CamScanner

يعرض فيها الشاعر آلامه وأحزانه من فراق الأحبة وتغير ديارهم، فهي ((تدور عادة حول الحديث عن الأطلال، أطلال ديار الحبيبة الراحلة التي عفت وأقفرت بعد رحيلها، وما يراه صاحبها فيها من آثار الحياة الماضية التي كانت تدب فيها أيام أن كانت آهلة بأصحابها، قبل أن تتحول بعدهم إلى مجرد أطلال مقفرة موحشة تسفى عليها الرمال فتحجبها وتخفي معالمها، وتهب عليها الرياح فتكشفها ويتبدي رسومها، وأسراب الحيوان الوحشي تسرح في ساحاتها آمنة مطمئنة حيث لا إنسان يفزعها أو يثيرها، وفي أثناء ذلك يتذكر الشاعر صاحبته البعيدة النائية، فيصف جمالها وحسنها، ويستعيد إلى خياله ذكرياته معها، فيحن إليها ويتحسر على أيامه معها، ويصور حبه وغرامه، وآلامه وأحزانه، ويأسه وحرمانه، فيذرف الدموع ويسفح العبرات)) [1].

فهذه المقدمة الطللية صورة لنفسه المغتربة الحزينة المفعمة بالآم إذ ((يمثل هذا المطلع الطللي في جوهره موقفا شجويا يعبر عن طبيعة حياة الإنسان البدوي وعن فلسفته وإحساسه بالفناء، ومن ثم فهو لم يفرض على الشاعر الجاهلي سلطة ما، بل كان استجابة طبيعية لحاجات طبيعية ربطت بين الشاعر ومجتمعه)) [2].

ولهذا نجد الشاعر الجاهلي دائما ((يتراءى في هذه المقدمة وكأنه يعيش في مأساة حزينة أساسها الفراغ الذي يستشعره بعد رحيل صاحبته، وفي أعماق المأساة يقف الشاعر مع رفيقين يبكي ويطلب إليهما أن يساعداه بالبكاء، ويستعيد بخياله ذكريات الماضي الذي دفنته الأيام في الرمال، ومن بين هذه الذكريات تلح

---

(١) دراسات في الشعر الجاهلي د/ يوسف خليف ص ١٢٥ ط مكتبة غريب.

(٢) شعرية التفاوت مدخل لقراءة الشعر العباسي د/ محمد مصطفى أبو شواب ص ١٢٨ ط دار الوفاء.

Scanned by CamScanner

عليه ذكرى ذلك الموقف الحزين الحساس الذي انتزعه انتزاعا من العالم السعيد الزاخر بالحياة إلى عالم الفراغ والأسى والدموع، ذكرى يوم الرحيل، اليوم الذي رحلت فيه صاحبته مخلفة وراءها أرض الشباب ومغاني الحب أطلالا مقفرة حزينة)) (١).

ونجد الشاعر الجاهلي في حديثه عن هذه الأطلال يعرج على ذكر أسماء المواضع التي تقع بينها الأطلال، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بنفسية الشاعر بما له فيها من ذكريات ماضيه التي لا تزال تعيش بخاطره يضمها قلبه ويتسع لها.

ومن أشهر المقدمات الطللية التي نتناولها مقدمة امرئ القيس وهي المقدمة التي وضعت المنهج العام للمقدمات الطللية في الشعر العربي، ووضعت التخطيط الذي سار عليه من جاء بعده من الشعراء.

وهي المعلقة التي نظمها امرئ القيس في مرحلة قريبة من مقتل أبيه وانشغاله بالثأر له من قاتليه،وهي تعد تعبيرا وافيا دقيقا عن نفسية الشاعر، إذ إنها تصور حالة اليأس والفشل في القدرة على الثأر لأبيه واستعادة ملكه وفقدانه لكل شيء حتى مات.

وفيها تختلف صور حياته اختلافا بينا عن حياته التي نعرفها عنه ورواها الرواة، إذ كان مقتل أبيه وطالبته بالثأر له مبعثا على الحزن الدفين الذي برز في مقدمة المعلقة التي جاءت في صورة فريدة حين أقام تقابلا بين الماضي والحاضر، وبين الموت والحياة في لحظة شعرية أبرزت حزنه الشديد، ونفسيته المعذبة لفقد الحبيب، ويستمد عناصره المختلفة من البيئة المادية والطبيعية من حوله، فيقول :

---

(١) دراسات في الشعر الجاهلي ص ١٢٦.

Scanned by CamScanner

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل
كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل
وإن شفائي عبر مهراقة وهل عند رسم دارس من معول
كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل
ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي

ونلاحظ هنا مضي الشاعر في ((اختزال الزمن في لحظات متنوعة، فيقابل بين صور الخراب ومظاهر الحياة في الطلل، وبين الجفاف النفسي والخصب العاطفي، وبين ذكريات الماضي ومأساة الواقع في صور يشخص بها هذه الذكريات وكأنه يعايشها من خلال الرياح والأمطار والظباء والرحيل والبكاء)) (١).

ونلاحظ حرص امرئ القيس في العديد من صور المعلقة أن يرسم الصور التي تخلصه من أحزانه وآلامه، فنراه في صورة الطلل ((يصل بينه وبين ذكرياته العاطفية بالجمع بين الماضي والحاضر في لحظات قصيرة غير ممتدة، فقد حرص على أن يصل بين الطلل والذكريات العاطفية والغزل ويصل بينها جميعا وبين وصفه لحصانه الذي يتخذ من الحديث عن سرعته وقوته وسيلة إلى

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية د/ إبراهيم عبد الرحمن ص ٢٧٦ ط مكتبة الشباب.

Scanned by CamScanner

الخلاص النفسي من هذا الواقع المضني الذي كانت تطبق عليه فيه مشاعر حزينة نابعة من إحساسه بالمفارقة بين الحياة والموت كما يحسهما في الطلل ورحيل الأحبة والذكريات العاطفية)) [1].فيقول في رسم صورة أسطورية للفرس :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل
مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن غبارا بالكديد المركل
يطير الغلاف الخف عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف المثقل

وتبدو حالة التوتر على هذه الصورة وهو يناسب حالة الشاعر الأليمة ويجسد توتر نفسه وصراعها بين الأم واللذة حين يمزج بين الإحساسين عن طريق هذه المطاردة العنيفة التي كان بطلها فرسه الذي أعده إعدادا أسطوريا حين وصفه بالقوة والسرعة حتى أنه يحطم كل شيء في طريقه من الحيوان.

كما أنّ حالة من الشّعور بالعجز عن الثأر لأبيه بالإضافة للعجز النفسي المتمثل في كونه مفركا هي الّتي دفعته إلى الحديث عن الماضي بذكّرياته الأليمة، في تّرابط شعوري شمل القصيدة ويتمّ عبر التّداعي النّفسي، وينتج عن العناصر النّفسية أو الرّغبات في التّذكّر والبكاء والتّعبير عن المرارة والمعاناة.

وتبدو هذه المرارة وهذا الإحساس بالغربة بصورة أكثر وضوحا في مجموعة الأبيات التي تلاحمت مع صورة الطلل في مطلع القصيدة، وهي التي

Scanned by CamScanner

تحدث فيها عن صورة الليل وما تركته من آثار واضحة في نفس امرئ القيس، فنراه يقول :

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي[١]
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل[٢]
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل[٣]
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل[٤]
كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل[٥]

وحقيقة فإن هذه الأبيات عن الليل أو ما يسمى بوحدة الليل في معلقة امرئ القيس قد حازت على أكثر اهتمامات النقاد والدارسين للأدب العربي والجاهلي خاصة على أن هذه الشروح والرؤى النقدية قد أسهمت في كشف الكثير من الأبعاد الجمالية أو النفسية.

فنلاحظ أن امرأ القيس في البيت الأول يصف الليل بوصف غير عادي، فهو يصور الليل مثل موج البحر الذي أرخى أستاره على الشاعر لا لكي يسعده ويمتعه وإنما ليبتليه بأنواع الهموم، إنه يتصور الليل بسواده كأنه أمواج لا تنتهي

---

(١) السدول : الستور جمع سدل، يبتلى : يختبر.
(٢) تمطى بصلبه : تمدد بوسطه، والأعجاز : جمه عجز، وهي الأطراف، ومعنى أردف أعجازا : باعد أطرافه عن صلبه فطال من آخره، والكلكل : الصدر، ومعنى ناء بكلكل : بعد بصدره إلى الأمام.
(٣) انجلى بصبح : انكشف عن صبح.
(٤) بكل مغار الفتل : أي بكل محكم الفتل متين، ويذبل : جبل من جبال نجد.
(٥) الثريا : مجموعة من كواكب صغيرة القدر انضم بعضها إلى بعض.

Scanned by CamScanner

من الأحزان والهموم وعندما نبحث عن العلاقة الدلالية بين الليل وبين أمواج البحر فإننا سوف نجد أن الليل والبحر والهموم معادل موضوعي للخوف واحزن والابتلاء، وهي أمور عمقت الإحساس بالاغتراب في نفس الشاعر.

ويبدو واضحا مما ذكرناه أن الليل في معلقة امرئ، القيس ليس هو الليل الرومانسي، أو هو الليل العاطفي أو هو الليل المعروف لأنه ليل طويل زمنيا ومعنويا، ليل تحتشد فيه الهموم والابتلاء واليأس منه ومن انجلائه، إنه ليل مهيمن على عالم الشاعر النفسي والخاص والعالم المحيط بالشاعر بحيث أن نجوم وثريات هذا الليل لا تتحرك أبدا إنه ليل سوداوي يتصف بكل معاني السوداوية واليأس، إنه ليل بائس لا يوجد فيه أي معنى أو بصيص لأي معنى أو نور لأي أمل أو خلاص، وحتى لو جاء الصباح فإنه لا يري فيه أي أمل أو نهاية لمأساته أو همومه.

فنجد أن صورة الليل في هذه المقطوعة هي صورة حقيقية من معاناة الشاعر النفسية، وهي صورة أخرى من حياة الشاعر البائسة التي يسيطر عليها الألم والوحدة والقهر، حتي سيطرت عليه حالة من الصراخ باليأس والاستسلام، ((وتتجلى ملامح الصراخ هذه بكثرة المدود في هذا البيت الشعري، وكأنها تمثل تنفيسا أو تعبيرا عن الصراخ للحالة التي وصل إليها الشاعر، وتتبدى المدود في: ألا، أيها، الطويل، ألا، انجلي، وما، الإصباح)) (١).

فالشاعر قد بلغت به حالته النفسية مبلغا تحت وطأة ما كان يعانيه ويحسه من اغتراب، فلم يملك للتنفيس عن نفسه إلا الصراخ في وجه هذه الظلمة المعتمة

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية د/ كريم الوائلي ص ١٠٢ ط دار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

Scanned by CamScanner

التي سيطرت على نفسه المكلومة.

كما بدت حالة الاستسلام المطلق من الشاعر لقسوة الليل وطوله حين نظر إلى الصبح مؤملا الفرج فلم يجده أحسن حالا من الليل فوصلت حالة التوتر أقصاها عند الشاعر، ((ففي البدء كان الشاعر يتململ، أما الآن فإنه انهار وأسرف في التشاؤم، حتى جعل يتوهم أن صباح الضوء ليس بأيسر من ليل الظلام)) (١)، فالحالة الشعورية للشاعر في موقفه إزاء الليل قد أخذت في التأزم بشكل تدريجي من البساطة في وصف الليل إلى التعقيد.

ولذلك نلاحظ ((أن تجربة الليل بدأت بالرهبة والخوف، وكان الشاعر مواجها الليل، وأن أمواجه كانت تتلاحق عليه، ثم تنتقل تجربته مع الليل إلى إحاطة وشمول بحيث تشتد قسوة الليل عليه لتصل أقصى درجاتها عندما أناخ عليه الجمل، وسحقه تحت كلكله سحقا، وتتتابع أبعاد التجربة مرورا بالصراخ واليأس ومن ثم الاستسلام)) (٢).

ومن هاتين اللوحتين المتعانقتين تبرز حالة التوافق بين الإحساس بالاغتراب والحديث عن الطلل الذي ملأ نفس الشاعر بالأسى محاولا أن يتجاوز هذا الإحساس من خلال حديثه عن المرأة، ولا يتم تجاوز الحاضر بقسوته في الطلل المجدب والحالة النفسية البائسة إلا من خلال استعادة الذكريات التي عمقت في نفس الشاعر الإحساس الممض بالاغتراب والوحشة والإحساس باللم والوحدة.

وتتأكد حالة الاغتراب التي أحسها الشعراء الجاهليين في هذه المشاعر

---

(١) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي إيليا الحاوي ص ٧٢ ط دار الكتاب البناني بيروت ١٩٨٠.

(٢) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية ص ١٠٣.

Scanned by CamScanner

الحزينة التي ابتدأ بها زهير بن أبي سلمي معلقته حين يقول في مطلعها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

ديار لها بالرقمتين كأنها مراجع وشم في نواشر معصم

ويقف الشاعر على هذه الديار ويتأمل هذه الأطلال ((فصور لنا حال الديار الدارسة بأنها أصبحت بعد هجرها مرتعا للظبار وأبقار الوحش التي تمشي خلفه، وقد نهضت أطلاؤها من مجاثمها وانتشرت هنا وهناك)) [1]، ونرى في صورته التي رسمها للأطلال آثار البلى والخراب حتى ((بدا عليه ما بدا على المتردد المتفرس الحزين الآسف الذي رده طول العهد ن معرفتها،ولم يعرفها إلا بعد لأي)) [2]، فيقول:

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد وهم

أثافيَّ سُفعاً في معرَّس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم[3]

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا عم صباحا أيها الربع واسلم

ثم يستمر الشاعر في إبراز مشاعره الحزينة لما يراه من طلل الأحبة وبعدهم مما ((يثير في النفس حالة من الحزن على فراق الأحبة، فيعرض هذه الصورة البديعة من رحيل الظعائن وسفرهن، وما تودعه هذه الحالة من الحسرة في

---

(١) زهير بن أبي سلمى د/ عبد الحميد سند الجندي ص ١٤١ ط المؤسسة المصرية العامة.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٧.

(٣) الأثافي السفع : الحجارة السود يجعل فوقها المرجل، ومعرس المرجل : حيث يوضع، النؤي: حفير حول الخباء، جذم الحوض : أصله.

Scanned by CamScanner

النفوس)) [1]، فيقول :

تبصر خليلي هل ترى من ... تحملن بالعلياء من فوق جرثم
علون بأنماط عتاق وكلة ... وراد حواشيها مشاكهة الدم
بكرن بكورا واستحرن بسحرة ... فهن لوادي الرّسّ كاليد للفم
جعلن القنان عن يمين وحَزنه ... وكم بالقنان من مُحل ومحرم
ظهرن من السُّوبان ثم جزعنه ... على كل قيني قشيب ومفأم
وفيهن ملهىً للطيف ومنظر ... أنيق لعين الناظر المتوسم[2]

ونجده بذلك يصور حالة نفسية عامة حين يقع ناظر الإنسان على ما أحل بديار أحبته من خراب ودمار مما يترك آثاره السيئة في نفسه من الإحساس بالحزن والألم.

ثم تبدو أمامنا حالة الاغتراب عند زهير بوضوح تام في صورة الخراب والوحشة للمكان التي صورها زهير في حديثه عن الطلل في موضع آخر من ديوانه حين يقول :

قف بالديار التي لم يعفها القدم ... بلى وغيرها الأرواح والديم
لا الدار غيرها بعد الأنيس ولا ... بالدار لو كلمت ذا حاجة صمم
دار لأسماء بالقمرين ماثلة ... كالوحى ليس بها من أهلها أرم

---

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٢) الظعائن: النساء في الهوادج، تحملن: رحلن، العلياء: اسم مكان، الأنماط جمع نمط، وهو ما يبسط من صنوف الثياب، الكلة : الستر الرقيق، وراد : جمع ورد وهو الأحمر، مشاكهة

Scanned by CamScanner

فنجد الشاعر يرسم لنا صورة مباشرة للديار تتردد بين الخراب في قوله (بلى وغيرها الأرواح والديم) وعدم الخراب في قوله (لا الدار غيرها بعد الأنـــيس)، فالشاعر ((يستخدم حاسة البصر ليحقق من خلالها أكبر قدر ممكن منة جماليـــات المكان الموصوف، فعلى الرغم من قفار هذه الديار من أصحابها فإنه يراهـــا لا تزال حية لم تتغير، ويعمل بعد ذلك على اختزال هذه الصورة من خلال التشبيه في البيت الثالث، حين تتقارب عناصر الصورة في وحدة دالة، فمثل هذه اللحظة المكانية التي ارتسمت في قرارة الشاعر تعتمد على جملة من العناصر الماديـــة المشاهدة من تغير وتحول أصاب المكان)) [1].

ونلاحظ أن هذه الرؤية الحية لديار الأحبة إنما هي صورة متخيلـــة أرادهـــا الشاعر أن تكون ماثلة أمام عينيه حتى أفاق على الواقع المرير من تحول هـــذه الديار إلى مجرد أطلال سيطر عليها عنصر الهدم، والتحول إلى الخراب، ممـــا أصابه بحالة من الألم واليأس فجرت في نفسه الإحساس بالاغتراب والألم.

ومثل هذا الإحساس بالاغتراب والألم كمعادل موضوعي للطلل نجده عنـــد الأعشى حين أجهش بالبكاء على أطلال محبوبته، واجترار الذكريات في قوله :

لميثاء دار عفا رسمها في أن نبين أسطارها
وريع الفؤاد لعرفانها وهاجت على النفس أذكارها
ديار لميثاء حلت بها فقد باعدت منكم دارها
رأت أنها رخصة في الثياب ولم تعد في السن أبكارها

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالقدس (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الخامس عشر العـــدد الثاني ص ٢٤٧، سنة ٢٠٠٧م بحث بعنوان (فلسفة المكان في المقدمـــة الطللية فـــي

Scanned by CamScanner

فعلى الرغم من أن الشاعر هنا في تذكره لمحبوبته (ميثاء) يرسم لها صورة جميلة تتراءى أمام العيون، فيصفها بأنها صغيرة في السن ناعمة ÷ إلا أن جوا من الحزن والأسى يخيم على هذه الصورة في قوله : (ريع الفؤاد لعرفانها)، وهذه المقابلة بين البكاء على الطلل وصورة المحبوبة، إنما هي استجابة طبيعية لمشاعر الأسى المنبعثة من صورة الطلل جعلته يحس إحساسا مباشرا بأنه غريب عن هذا المكان الدارس، فيبكي فراق محبوبته ويتحسر على ذلك الزمن الماضي المتمثل في صورة الطلل الماثلة أمام عينيه.

والشاعر في بكائه يعلم أنه لا جدوى من هذا البكاء ولذا يقول في موضع آخر :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي فهل ترد سؤالي

دمنة قفرة تعاورها الصيـ ف بريحين من صبا وشمال

فهو هنا يستفهم عن جدوى البكاء على الأطلال، وهما إذا كانت هذه الأطلال ترد سؤاله، وهذا السؤال يعكس صوت الشاعر الجاهلي الذي اتصل برؤية جعلت من الوقوف على الأطلال وقفة مع النفس بما تعانيه من مشاعر وأحاسيس.

ومن هنا يتأكد ((أن البكاء على الأطلال لم يكن تقليدا عاما عند الشعراء الجاهليين، وإنما كان استجابة للواقع الذي يعيشه الشاعر الجاهلي، وهذا يعني أن الطلل لم يكن قارا في ذاكرة الشاعر العربي بقدر ما كان في نفسه، فالشاعر العربي كان مسكونا بالطلل في حله

=الشعر الجاهلي) د / سعيد محمد الفيومي.

Scanned by CamScanner

وترحاله)) [1].

ويميل أحد الباحثين إلى الاعتقاد بأن المقدمة الطللية تقوم بعملية تطهير حيث تساعد على تحمل المواقف الصعبة فتجدد طاقات نفسه، وتبعد ظلمات وحشتها، وتلطف من ذهولها كلما تعكر صفوها، ومن هنا لم يأت بكاء الشاعر للبكاء، ولكنه أتى علة لشفاء نفسه الملتاعة، حيث تبلغ هذه النفس درجة التأزم، فتارة نتلمس التماسك والتجلد، وأخرى تلجأ إلى الدموع والنداء والاستفهام، وكل ذلك قصد التخفيف من تلك المعاناة النفسية)) [2].

وهذا يعني أن الشاعر في بكائه على الأطلال إنما يبين العلاقة بينه وبين هذا المكان، الذي طالما شهد أفراحه مع محبوبته، فحين رأى البلى والدمار يحل بهذا المكان أخذ يعبر عن هذا التحول والتبدل في صورة الطلل معبرا بذلك عن البعد النفسي الذي خلفته هذه الصورة الطللية حتى أحس بالاغتراب عن هذا المكان.

ونلحظ ذلك في هذه التساؤلات والتشبيهات التي أوردها حاتم الطائي في قوله[3]:

أتعرف أطلالا ونؤيا مهدما كخطك في رق كتابا منمما
أذاعت به الأرواح بعد أنيسها شهورا وأياما وحولا مجرما
دوارج قد غيرن ظاهر تربه وغيرت الأيام ما كان معلما
وغيرها طول التقادم والبلى فما أعرف الأطلال إلا توهما

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٩.

(٢) مقدمة القصيدة الجاهلية عبد الله محمد صادق ص ١٠٩ ط دار الفكر العربي.

(٣) ديوان حاتم الطائي ص ٧٩ ط دار صادر بيروت سنة ١٩٨١م.

Scanned by CamScanner

فالشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن خراب هذه الأطلال حين يشبهها بالخط في الرق في إمحائه، ويجعل من المكان وصورته هذه مجالا للتصور النفسي حين يربط بين هذه الأطلال وبين نفسه المعذبة، مما يعني أن الجاهلي كانت بينه وبين المكان علائق ووشائج نابعة من شدة حساسيته وفكره، هذه العلائق نفسها كانت فاعلا لحالة الاغتراب التي كان يعيشها مع هذا المكان بن يتحول إلى رسم دارس وحين يبلى ويصير طللا يشجيه ويعذب نفسه.

وإذا نظرنا إلى معلقة عنترة نجد الشاعر يبدأ مقدمته الطللية بسؤال إنكاري حين يقرر أن الشعراء لم يتركوا مجالا لقول غيرهم، فيقول :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
دار لآنسة غضيض طرفها طوع العناق لذيذة المتبسم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
فوقفت فيها ناقتي فكأنها فدن لأقضي حاجة المتلوم

يجمع الباحثون على أن الطلل عند الشاعر الجاهلي يحفل بدلالات نفسية ورمزية متنوعة، ولذا فإننا لو تأملنا الواقع النفسي والاجتماعي لعنترة فإننا نستطيع أن نخرج من هذه المقدمة ببعض الدلالات التي تفسر إحساس الشاعر بالاغتراب والألم.

فمن الثابت أن عنترة عاش واقعا قلقا، هذا الإحساس لم يكن نابعا من مخيلة الشاعر وإنما كان واقعا عاشه الشاعر وباشره في حياته على المستوى النفسي والاجتماعي، نتيجة لسوء العلاقة التي كانت بينه وبين قبيلته استنادا إلى العصبية

Scanned by CamScanner

القبلية السلالية التي كانت في المجتمع الجاهلي والمتمثلة في أن ثمة فرقا بين طائفتين، طائفة السادة وطائفة العبيد التي كان ينتمي إليها عنترة.

ومن خلال هذا السياق النفسي والاجتماعي المحيط بالشاعر أحسسنا لدى الشعر بحالة من التمرد على هذا السياق الاجتماعي الظالم، ((ولعل هذه الحالة من التمرد التي عاشها الشاعر قد أوجدت لديه حالة نفسية يمكن اعتبارها فقدانا للتوازن النفسي عاشه الشاعر، والتي كانت نتيجة للحالة السابقة من التمرد بسبب عدم التوافق الاجتماعي)) (١).

ونلحظ ذلك في مقدمة الشاعر الطللية (هل غادر الشعراء من متردم....)، فهو يبدأ مقدمته بهذا الاستفهام الإنكاري الذي تنبعث منه رائحة الاغتراب والقلق إذ إنه ((ينكر هذا الواقع المفروض عليه وعلى أمثاله، إضافة إلى أنه تعبير عن حالة القلق التي كان يحياها الشاعر، فهو يجسد في هذا المطلع حالة التردد النفسي التي كان يعيشها هو وأمثاله من طبقة العبيد، فكأنه يعيش حالة من الراجعة النفسية، فهو لا يسأل أحدا بل يسأل نفسه، ثم هو بعد ذلك يتردد في معرفة الدار، فالشخصية القلقة لدى عنترة تبدو واضحة من بداية المقدمة الطللية، فتتوزع انفعالات الشاعر على مجمل كيانه، وتظهر بوضوح من خلال معالمه النفسية القائمة على هذا التردد)) (٢).

وتبدو المقدمة وكأنها مطبوعة بطابع الحيرة الممزوجة بالحزن والأسى، إذ أن الشاعر عاش معظم حياته في جدال وصراع مع وسطه الاجتماعي الذي يعيش فيه، ولذا نجده يحاول أن يتخفف من حدة هذا القلق بذكر المرأة وحديثه

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية ص ٢٦٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٠.

Scanned by CamScanner

القبلية السلالية التي كانت في المجتمع الجاهلي والمتمثلة في أن ثمة فرقا بين طائفتين، طائفة السادة وطائفة العبيد التي كان ينتمي إليها عنترة.

ومن خلال هذا السياق النفسي والاجتماعي المحيط بالشاعر أحسسنا لدى الشعر بحالة من التمرد على هذا السياق الاجتماعي الظالم، ((ولعل هذه الحالة من التمرد التي عاشها الشاعر قد أوجدت لديه حالة نفسية يمكن اعتبارها فقدانا للتوازن النفسي عاشه الشاعر، والتي كانت نتيجة للحالة السابقة من التمرد بسبب عدم التوافق الاجتماعي)) (١).

ونلحظ ذلك في مقدمة الشاعر الطللية (هل غادر الشعراء من متردم....)، فهو يبدأ مقدمته بهذا الاستفهام الإنكاري الذي تنبعث منه رائحة الاغتراب والقلق إذ إنه ((ينكر هذا الواقع المفروض عليه وعلى أمثاله، إضافة إلى أنه تعبير عن حالة القلق التي كان يحياها الشاعر، فهو يجسد في هذا المطلع حالة التردد النفسي التي كان يعيشها هو وأمثاله من طبقة العبيد، فكأنه يعيش حالة من الراجعة النفسية، فهو لا يسأل أحدا بل يسأل نفسه، ثم هو بعد ذلك يتردد في معرفة الدار، فالشخصية القلقة لدى عنترة تبدو واضحة من بداية المقدمة الطللية، فتتوزع انفعالات الشاعر على مجمل كيانه، وتظهر بوضوح من خلال معالمه النفسية القائمة على هذا التردد)) (٢).

وتبدو المقدمة وكأنها مطبوعة بطابع الحيرة الممزوجة بالحزن والأسى، إذ أن الشاعر عاش معظم حياته في جدال وصراع مع وسطه الاجتماعي الذي يعيش فيه، ولذا نجده يحاول أن يتخفف من حدة هذا القلق بذكر المرأة وحديثه

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية ص ٢٦٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٠.

Scanned by CamScanner

عن حلاوتها وجمال فمها، ويجعل من ذلك رداء يغطي شعوره القائم على رفض هذا الواقع، ويذكر ديارها ويدعو لها بالنعمة، وهو بذلك يحاول ((أن يقيم نوعا من التوازن بن استلاب المعرفة لهذه الديار، وبين معرفته لها رغبة منه في الخلاص من هذا القلق النفسي وحالة الصراع المعيشة لديه)) (١).

ففي هذه المقدمة وغيرها من المقدمات الطللية الأخرى نستطيع الوقوف على تعمق الإحساس بالاغتراب وظهور نزعة الألم نتيجة هذا التحول للمكان، وعلاقة هذا المكان بمحبوبته، فعنترة في وصفه للتحول الذي أصاب المكان كان يركز على الجوانب النفسية أكثر من الجانب المادي للمكان نتيجة ما كان يهدد وجوده داخل البيئة الاجتماعية القبلية، وهذا يؤكد أن الشاعر كان يعيش حالة نفسية خاصة به انعكست على تصويره للمكان مباشرة، فهو لم يلجأ إلي تصوير خراب المكان مباشرة، بل صوره من خلال ربط هذا المكان بالمرأة.

ومن خلال حالة انعدام الوجود التي سيطرت على عنترة نتيجة لانعدام الوفاق على الصعيد الاجتماعي أخذ الشاعر في التعبير عن ذاته، ليربط بين الطلل وبين حالة القلق التي يعيشها الشاعر فيتداخل بذلك الطلل مع الدلالة النفسية، ليتعمق بذلك الإحساس بالألم والاغتراب كمعادل للواقع الاجتماعي المفروض على الشاعر.

وبهذه النظرة يمكننا قراءة المقدمات الطللية في الشعر الجاهلي، وعلاقتها بالشعور النفسي لدى الشاعر، إذ يتبين أن وقفة الشاعر على الأطلال ليست مجرد وقفة على آثار دمن لو أراد المرء أن يتبينها فلن يجد غير بقايا ليست لها

---

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها.

Scanned by CamScanner

قيمة تذكر، وإنما كانت هذه الوقفة الطللية مرتبطة ارتباطا كبيرا بالدلالة النفسية لدى الشاعر وعلاقته بهذا الطلل، وما يرمز إليه من الحياة التي انقضت وحل مكانها الخراب والفناء.

فالشعراء في وقوفهم على الأطلال يستحضرون صورة الماضي الذي يتصل بالزمان والمكان ((فالوقوف عندها اجترار للذكريات، وحركة توقف عن الحاضر لننطلق منه إلى الماضي تعيد تشكيله الفني تشكيلا يمتلك هذا الماضي ويسيطر، عليه ليتخلص من سيطرة ذلك الماضي على الذات وامتلاكه لها)) (١).

فالوقوف على الأطلال وما يمثله من علاقات بين الشاعر والطلل، أو بين الطلل والشعور النفسي الذي يسيطر على الشاعر إنما يتمخض عن شعور واضح بالغربة، غربة الإنسان في مواجهة الزمان، والمكان الذي يتغير بتغير الزمان ((ففي العصر الجاهلي نجد اغتراب الواقفين بالأطلال مرتبطا أحيانا بقلق الشاعر أمام غموض الحياة ن وحيرته أمام الخطر الذي يتهدد لحظة السعادة والاستقرار دائما بالبين والرحيل)) (٢).

وهذا ما اتضح في تناولنا لبعض المقدمات بالتحليل من الناحية النفسية، كما تبرز في ما تناولنا من تأمل الشاعر الجاهلي وتفكيره في الموت والحياة، ونظرته للطلل، فالشعراء أكثر الناس استجابة لما تخلفه هذه الأطلال من مشاعر وأحاسيس، وأقدرهم على التعبير عن تجاربهم في مواجهة التناقض الماثل في الوجود والذي ترمز إليه هذه الأطلال.

---

(١) شرح المعلقات السبع د / سليمان العطار ص ٤٦ ط دار الثقافة للنشر والتوزيع.

(٢) تيارات معاصرة في التراث العربي د / سعد دعبيس ١/٧٤ ط دار الثقافة.

Scanned by CamScanner

ثانيا : الاغتراب والشيب :

تعد مشكلة الشيب أو الشيخوخة واحدة من مظاهر الاغتراب التي تركت بصمتها على الشاعر الجاهلي، حيث بات أفراد المجتمع على مستوى الأسرة والدولة يعاملون الشيوخ على أنهم كم مهمل، وعبء ثقيل ملقى على كواهلهم، فتغيرت نظرتهم إليهم بعدما كانت لهم منزلة وقدر في نفوسهم، مما ترك أثرا سيئا في نفوس من أصابهم المشيب.

ولقد فطن علماء النفس في العصر الحديث إلى ذلك، فأشاروا إلى ما أسموه بالاغتراب النفسي، الذي يشير في الأعم إلى حالة من عدم التوازن النفسي، بسبب سيطرة مجموعة من النوازع على الإنسان، والتي يكون من أبرزها مثلاً : إحساسه بالجهل أمام قوى الطبيعة والعجز تبعاً لذلك عن فهم أسرارها، وشعوره بالضعف أمام الظرف الاجتماعي الضاغط بقوة تكاد تكون ساحقة، إذ يكون من بين مخلفات ضغط هذا الظرف مثلاً أن يشعر الإنسان بإحساس الفقد، فقد الإلف والأتراب والأنداد أو النظراء على المستوى الاجتماعي والفكري، وذلك على النحو الذي ألمح إليه قول أبي حيان التوحيدي متحدثاً عن بعض أسباب شعوره بالاغتراب في مجتمعه ومشيراً إلى الغصص التي انتابته نفسياً واجتماعياً، فأسلمته إلى الشعور بالانبتار عن هذا المجتمع، يقول: " لأني فقدت كل مؤنس، وصاحب، ومرفق مشفق، والله لربما صليت في الجامع، فلا أرى إلى جنبي من يصلي معي،....، فقد أمسيت غريب الحال غريب اللفظ..الخ" (١).

---

(١) الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي ص٨، ٩ شرح وتعليق علي متولي صلاح ط المطبعة النموذجية.

Scanned by CamScanner

(ولا شك أن الشكوى حالة نفسية ملحة في كثير من الأوقات، فعن طرقها يتخفف المرء من أثقال همومه، ودفين آلامه بما يطلقه من صيحات التشكي وصرخات التظلم، وهي أخيرا دلالة واضحة على أن الإنسان لم يعد في طاقة نفسه أن تتحمل أكثر مما تحملت، وأن تتجمل أبعد مما تجملت)(١).

ولقد وجد في الشعر الجاهلي سيلا من الشعر الذي يتحدث عن هذه الظاهرة الأليمة حيث عبر عنها الشعراء بأنينهم وأحزانهم، وبنبرات حزينة تحمل المرارة من المشيب من جراء ما أصابهم من تحول وتغير في نظرة أهليهم ومجتمعاتهم إليهم، ويبدو هذا الإحساس في قول الحسن بن عمرو(٢) :

إذا انقضى القرن الذي أنت منهم وخُلِّفت في قرن فأنت غريب

فهذه صرخة أطلقها أحد الشعراء ممن آلمهم الإحساس بالتوحد والغربة النفسية والعزلة التي جلبها الشيب، مما كان سببا في امتلاء الجوانح بمشاعر الهوان والغربة في المجتمع.

فالصورة العامة بتجربة الشيخوخة ترتبط بعدم الرضا، والنفور من المشيب لما خلفه في النفس من الإحساس بافتقاد الوفاء وتنكر الأقربين، وتولي الخلان، وهم في أشد الأوقات حاجة إليهم، يقول عدي بن زيد(٣) :

---

(١) الشكوى في الشعر الجاهلي لقحطان رشيد التميمي ص ١٣٩ مجلة كلية الآداب بغداد العدد١٣ سنة ١٩٧٠.

(٢) ديوان شعر الخوارج جمع وتحقيق د / إحسان عباس ص ٢٦٠ ط الشروق ط ٤.

(٣) ديوان عدي بن زيد ص ١١٣ تحقيق / محمد جبار المعيبد ط مطبعة الجمهورية بغداد سنة ١٩٦٥.

Scanned by CamScanner

نزل المشيب بفوده لا مرحبا ورأى الشباب مكانه فتجنبا

ضيف بغيض لا أرى لي عصرة منه هربت فلم أجد لي مهربا

والناظر إلى النصوص الشعرية في الجاهلية يجد فيض غزير من الأشعار التي عبرت عن تجربة الشيخوخة وإحساس الشعراء بالاغتراب والألم في تجاربهم، فقد ((كان من عادة العرب في الجاهلية إذا أسن فيهم كبيرا أن يتركوه ملقى في الدار كالمتاع، ويجرون عليه طعامه وشرابه، فإذا رحلوا حملوه، وإذا حطوا ألقوه هملا دون توقير)) [1].

فبهذه القسوة كانوا يعاملون الكبير في مجتمعهم لا لذنب جناه، ولكن لأنه بلغ من الكبر عتيا، مما كان يفتح المجال أمام الإحساس بالضياع يتسرب إلى نفسه، وخاصة أنه- فيما نتصور- كان حين يمارس آلام الحاضر يتذكر الماضي (الشباب وظله الوارف) الميئوس من رجوعه، فيحدث ذلك في نفسه شعوراً بالانفصال عن هذا الحاضر ومقته والناس فيه، وتأزماً نفسياً لذهاب الماضي السعيد، وتولي أيامه النديات النضيرات، ويخلف ذلك كله حالة من الاغتراب القاتل.

وقد عبر عن ذلك ثعلبة بن كعب الأوسي حين أخذ يصرخ بعد أن صار معمرا يعيش بين من لا يشعر بينهم بالتواصل النفسي، إذ يخطف الموت من كان يشعر معهم بالتواصل والقرار، فصار كئيبا منطويا على نفسه بائسا من كل خير، فيقول[2] :

---

(١) المعمرون والوصايا للسجستاني ص (ف) ط الحلبي.

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.

Scanned by CamScanner

لقد صاحبت أقواما فأمسوا خفاتا ما يجاب لهم دعاء
فمضوا قصد السبيل وخلفوني فطال عليَّ بعدهم الثواء
فأصبحت الغداة رهين بثي وأخلفني من الدهر الرجاء

فالشاعر هنا انفردت به حالة من اليأس والسأم، واستولى عليه الشعور بالغربة، ولذلك لم يحتج الشاعر إلى الخيال في التعبير عن تجربته وإحساسه بالألم.

ويبدوا هذا في استخدامه لجملة (أمسوا خفاتا) بما تحمله الكلمة " أمسوا " من عوامل النقيض النفسي، إذ المساء وقت الظلام، كما لم يبق منهم أيضاً إلا الإخبار عنهم بأنهم : "مضوا " بما يحمله ذلك اللفظ من إعلان واضح عن انفلات السعادة من بين يديه، وليس ذلك إلا مجرد إلماح إلى بعض ما تحمله ألفاظ الأبيات من طاقة إيحائية، فالجمل هنا كلها تطرح من الظلال ما يكفي لتمثل مصابه، وقف معي مثلاً عند جملة "خلفوني" ثم تأمل ما تحمله من الإعلان عن إحساس الشاعر بالغربة، والضياع واليأس من الحياة، وتمنى الموت "اللحاق بمن خلفوه ".

ولهذا فإن كثيرا ما ترتبط الشيخوخة والمشيب بالإحباط والذلة، ويظهر لنا هذا الإحساس من وصف أحد الشعراء لهذه الحياة بأنها ذليلة لأنه يحياها بين أقوياء قادرين على الفعل، وينتهي الشاعر معلنا أن الموت خير من هذه الحياة الذليلة، (ولا شك أن معاناة الإنسان في شيخوخته تتمخض عن الإحساس بالفناء الذي يقترن بالعجز، وانصراف الناس عن المرء في حياته، وملالتهم مما يجعله فريسة الحصر النفسي،

Scanned by CamScanner

فهاهو النسيان يحيط به في حياته، فما باله إذا مات وأصبح رهين القبر، ولهذا يشعر الإنسان في شيخوخته بالاغتراب إذا طال به العمر وانقطع عن أقرانه)) [1]، فيقول حاطب بن مالك النهشلي[2] :

وماذا ترجى من حياة ذليلة تعمرها بين الغطارفة المرد
وأنت لقي في البيت كالرأل مدنف وقد كنت سباقا إلى غاية المجد
وللموت خير لامرىء من حياته يدب دبيبا في المحلة كالقرد

فنلاحظ أن الشاعر قد استخدم من الوسائل الأسلوبية التي أبرزت تجربته ومعاناته، فالاستفهام في البيت الأول يكشف عن يأسه وقنوطه، ويتضمن نفيا لأي رجاء في حياة مقبولة في الشيخوخة، وقد ألقت جملة الحال التي جاء بعد الواو في البيت الثاني ظلالها على هذا اليأس، حيث شبه نفسه بأنه لقي لا قيمة له، ولهذا فإن ما خلص إليه قد جاء مؤكدا باللام في قوله (للموت خير).

وهذا عمرو بن قميئة يشكو ما حل به ويتألم لما آل إليه من عدم النفع بعدما كان له من منزلة بين قومه، فيذم المشيب الجالب له هذه المشاعر والأحاسيس الأليمة، فيقول[3] :

---

(١) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ص٣٨٣.

(٢) المعمرون والوصايا ص ٣٧.

(٣) ديوان عمرو بن قميئة ص ٣٨، ٣٩ تحقيق خليل إبراهيم العطية بغداد ١٩٧٢.

Scanned by CamScanner

كأني وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار لجامي[1]

على الراحتين مرة وعلى العصا أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

رمَتْني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرْمَى وليس برامي

فلو أنها نبل إذًا لاتَّقيتها ولكنني أُرمى بغير سهام

إذا ما رآني الناس قالوا ألم تكن حديثا جديد البزّ غير كهام[2]

فهذه الأبيات تكشف عن أسى بن قميئة حين داهمه المشيب فتركه عاجزا كالحصان الذي خلع عذاره الذي كان يأخذ بزمامه، وأصبح غرضا للرزايا ترميه بسهامها الذي لم يستطع أن يتقيها لأنها سهام من نوع غير معهود.

ولعلنا من ذلك نلاحظ أن إحساس الشاعر بعجزه وانصراف الناس عنه وعد إقبالهم عليه جعله يعيش مغتربا عن ذاته وعن المجتمع حيث ((أصبح يشعر أنه وحيد، منقطع عن الناس عاجز عن تحقيق نفسه بينهم ومن خلالهم، فلم يبق له سوى عالم الأحلام الذي يعيش فيه بمثل وقيم تختلف عن قيم ومثل هذا الواقع، ولهذا مارس الشاعر الجاهلي في شيخوخته الاغتراب ممارسة حقيقية)) [3].

ومن النماذج التي تعكس صور الإنسان في شيخوخته وعجزه ومعاناته ما قاله ساعدة بن جؤبة[4] :

---

(١) العذار من اللجام : ما تدلى منه على وجه الفرس.

(٢) البز : الثياب أو متاع البيت من ثياب أو غيره، الكهام : البطيء الضعيف الذي لا غناء عنده.

(٣) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ص ٣٩٥.

(٤) ديوان الهذليين ص ١٩١.

Scanned by CamScanner

يا ليت شعري ألا منجى من الهرم ... أم هل على العيش بعد الشيب من ندم

والشيب داء نجيس لا دواء له ... للمرء كان صحيحا صائب القحم

وسنان ليس بقاض نومة أبدا ... لولا غداة يسير الناس لم يقم

في منكبيه وفي الأصلاب واهنة ... وفي مفاصله غمز من العسم

إن تأته في نهار الصيف لا تره ... إلا يجمع ما يصلي من الحجم

حتى يقال وراء البيت منتبذا ... قم لا أبا لك سار الناس فاجترم

فقام ترعد كفاه بمحجنة ... قد عاد رهبا رذيا طائش القدم

تالله يبقى على الأيام ذو حيد ... أدفى صلود من الأوعال ذو خدم

فهنا ترتكز الصورة الكلية للمشيب على الوصف الواقعي، إذ يبدو المشيب بمثابة داء يصيب الإنسان بالوهن والضعف بعد الفتوة والقوة، ثم يبين الشاعر المواقف التي يظهر فيها عجز الشيخ وانصراف الناس عنه دون اهتمام به.

كما نلاحظ التحام التراكيب والأساليب اللغوية التي أدت وظيفتها في إبراز هذه الصورة الكلية، "فالاستفهام (ألا منجى من الهرم) يوحي بالتبرم من الهرم والنزوع إلى الخلاص منه، ويعكس في نفس الوقت استبعادا لهذا الخلاص، ثم يأتي الاستفهام عن ارتباط طول العيش بالندم معبرا عن حيرة الشاعر ومعاناته، وتأتي القابلة بين الشيب ـ بوصفه داء لا دواء له ـ وبين المرء الذي كان صحيحا قويا لتبرز التناقض الذي يصيب حياة الإنسان، أما القصر في قوله : (لا تره إلا يجمع)، فإنه

Scanned by CamScanner

يفيد أن هم هذا الشيخ قد انحصر في المحافظة على نفسه في مواجهة قسوة الطبيعة)) [1].

وبهذه الصورة تكتمل صورة الانهزام النفسي أما ذلك الشيب الذي يصيب الجسد بالذبول والوهن، والحواس بالضعف والخور، حتى ليصير الإنسان غير قادر على فعل يجلب له الدفء في علاقته بالمجتمع، الذي لم يكن يرعى للكبير حرمة.

كما هو معلوم ملموس من واقع حياة البشر فإن ظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند، ولهذا ترى أن سورة الألم النفسي والشعور باجتواء الحياة كلها كانت تشتد حين يستشعر الأشيب الإذلال ممن يتوقع منهم التوقير والإجلال، وهم أبناؤه أو الخاصة من أقربائه، إذ يسكن نفسه إذ ذاك الإحساس بخيبة الأمل، وذلك إحساس قاتل يسلم إلى حالة من الاغتراب النفسي التي تصل بالأشيب إلى تمني الموت.

ويبدو ذلك حين تتصل تجربة الشيخوخة بعاناة من أصابه الشيب من عقوق الأبناء الذين يبغضون رؤيته ويتأففون من كلامه، وينهرونه عن الحديث إذا هم به.

ويقدم لنا أمية بن أبي الصلت تجربة متفردة يشكو فيها عقوق ابنه، مذكرا له ما قدمه من بر ورعاية عندما كان صغيرا، فيقول[2] :

---

(١) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ص ٣٩٦.

(٢) ديوان الحماسة لأبي تمام شرح التبريزي ٢ / ١٣٣.ط / عالم الكتب.

Scanned by CamScanner

غذوتك مولودا وعلتك يافعا تعل بما أدنى إليك وتنهل

إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت لشكواك إلا ساهرا أتململ

كأني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني وعيني تهمل

فلما بلغت السن والغاية التي إليها ما كنت فيها أؤمل

جعلت جزائي منك جيها وغلظة كأنك أنت النعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار الجاور يفعل

وسميتني باسم المفند رأيه وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل

تراه معدا للخلاف كأنه برد على أهل الصواب موكل

فالشاعر في هذه الأبيات يواجه ابنه بما قدمه إليه من الرعاية منذ أن كان مولودا ويافعا، فإذا ما شكا هذا الابن بات الأب بجانبه ساهرا كأنه هو المطروق بالألم، قلقا يذرف الدموع ألما وخوفا عليه، ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير موقف هذا الابن منه بعد أن بلغ غاية ما كان يرجوه، فجعل هذا الابن جزاء أبيه جيها وقابله بما يكره، وتتقطر نفس الأب ألما وإشفاقا في عنايته لابنه في البيت السادس ؛ حيث يقول له : ليتك إذ لم ترع مني حقوق الأبوة سرت معي سيرة الجار، ثم ينتقل من العتاب إلى لومه وتعنيفه قائلا له : لقد رميتني بالخبل وأنت المخبول لو كنت تعقل، فلقد خرجت برأيك عن الصواب وكأنك موكل بالرد على أهل الصواب في طيشك وسفهك.

وهذه الصرخة تمثل "نوعا من النقد الإنساني في مواجهة سلوك اجتماعي جائر، ومحاولة لمواجهة قهر الواقع الذي يعيشه الإنسان في شيخوخته، وهو من

Scanned by CamScanner

ناحية أخرى رفض لهذا الواقع، ومواجهته بتشكيل فني يظهر عيوبه، كما أنها محاولة لرأب الصدع النفسي الذي يعانيه الأب في كبره، ورأب الصدع في البنيان الاجتماعي، ومحاولة للإصلاح في بنية القيم ا؟لإنسانية للمجتمع) [١].

ولقد تعرض لنفس هذا الموقف من الإهمال والامتهان من الأبناء كعب بن دارة النخعي فصرخ قائلا :

لقد ملني الأدنى وأبغض رؤيتي — وأنبأني أن لا يحل كلامي
على الراحتين مرة وعلى العصا — أنوء ثلاثا بعدهن قيامي
فيا ليتني قد سخت في الأرض إقامة — وليت طعامي كان فيه حمامي

وفي هذه الصرخة ترى ذل الرجل مجسداً يطل برأسه من بين كلمات كل جملة هنا، ليعلن بذلك أنه لا خير في العيش بعد الشيب والكبر، وتجربة هذا الرجل حميمة الصلة بتجارب كثيرة ما زلنا حتى اليوم نراها، ويصل إلى أسماعنا نبأها بين لحظة وأخرى، فلا ترى النفس موقفاً أبغض من موقف يكون فيه الأشيب على تلك الحال من الإذلال.

وهناك صورة أخري لعقوق الأبناء تقدمها أم شاعرة، مصورة معاناتها في شيخوختها حين يواجهها ابنها بعقوقه، وهي من التجار ب الإنسانية النادرو في الشعر الجاهلي، حيث تقول امرأة من بني هوازن يقال لها أم ثواب [٢]:

---

(١) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ص ٣٩٧.

(٢) ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي ٢ / ١٣٤.

Scanned by CamScanner

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه أم الطعام في جلده زغبا
حتى إذا آض كالفحال شذبه أباره ونفى عن متنه الكربا
أنشأ يمزق أثوابي يؤدبني أبعد شيبي عندي يبتغي الأدبا
إني لأبصر في ترجيل لمته وخط لحيته في خطه عجبا
قالت له عرسه يوما لتسمعني مهلا فإن لنا في أمنا أربا
ولو رأتني في نار مسعرة ثم استطاعت لزادت فوقها حطبا

وهذه الأبيات تكشف عن تجربة شعرية تتصف بالعمق والتركيز، فهذه الأم حين تجابه عقوق ابنها تتذكره حين كان طفلا صغيرا كالفرخ الضعيف، ثم تقارن بين ذلك وبين صورته التي أصبح عليها، فتتخذ من النحلة معادلا موضوعيا لابنها في شبابه وترمز بها إلى سموقه وقوته، إلا أن هذه الصورة تقترن بسلوك غير إنساني من هذا الابن العاق، حيث نراه قد راح في إيذائها وتمزيق أثوابها تأديبا لها.

فالأبيات كما نرى تقدم لنا صورة إنسانية لمعاناة الأم مع ابنها وزوجته، وهي صورة تتصل بالحياة والواقع في هذا العصر، وهي صورة قاسية أليمة لنظرة الأبناء لمن أدركه المشيب مما يسبب إحساسا عميقا بالاغتراب والألم.

ونتيجة لهذا الإحساس الممض بالاغتراب النفسي وجدنا من أصابهم المشيب يحاولون أن يجتازوا أزمتهم النفسية، وتخفيف حدتها بإظهار التجلد والتماسك أمام هذا الرفض من المجتمع.

وتلك سبيل سلكها البعض حين أدرك أن لا أحد يسمع شكواه، وأن أهوال الشيب تشهد كيانه كله، فأخذ يظهر شيئاً من التماسك والتجلد، غير أنه التماسك

Scanned by CamScanner

أو التجلد يأخذ خاصية الذلة والانكسار، إذ لم يعد لهم قوة الفتيان ولا اقتدارهم على التماسك، بالإحباط وخيبة الأمل،وظهر إحساسهم بالغربة النفسية، كنتيجة لعجزهم الجسدي عن القيام بواجبات العيش لأنفسهم ومجتمعاتهم، أو لعجزهم عن الانسجام مع الأجيال الجديدة التي لا تلتقي معهم في الفكر أو المزاج النفسي.

وكان من سبلهم للتخفف من بعض أثار هذه المشاعر أن يهربوا نفسياً إلى زمن القوة والفتوة والصبا،زمن الشباب، وهذا أحدهم وهو هاجر بن عبد العزّي الخزاعي [1]، ينزع في شيخوخته إلى الماضي فراراً من الحاضر حين يقول :

بليت وأفناني الزمان وأصبحت هنيدة قد أنضيت من بعدها عشرا
وأصبحت مثل الفرخ لا أنا ميت فأسلى ولا حي فأصدر لي أمرا
وقد كنت دهرا أهزم الجيش واحد وأعطى فلا منّا عطائي ولا نزرا
وقد عشت دهرا لا تجنّ عشيرتي لها ميتا حتى أخط لها قبرا

فالشاعر هنا يقدم نفسه في صورتين، صورة في حاضره الذي آل إليه، وأخرى لماضيه الذي كان فيه، فيقدم الأولى ثم ينتقل إلى الثانية بقوله: "وقد كنت.. وقد عشت "، وهي صيغة لا تجدها في الأغلب ذات حضور إلا على لسان من تولت من حياتهم ساعات الصفو، وأسباب المسرة.

ففي الصورة الأولى تراه يكاد يجسد لنا إحساسه بالوحدة والوحشة وانفصال محيطه عنه، إذ لا يشعره أحد من هذا المحيط بأنه حي فيشركه في أمور الحياة، ولا يأتيه الموت فيريحه- فيما ظن- من ويلات الحاضر البغيض، ثم يسلى أو

---

(١) المعمرون والوصايا لأبي حاتم ص٩٢.

Scanned by CamScanner

ينسى، والملاحظ هنا أن الشاعر يرسم نوازعه ببراعة، إذ يضع أمامنا إحساسا بخيبة الأمل في الحاضر والمستقبل، حين رماه الكل بالخرف فلا يستمع له أحد، وهو ما عناه بقوله: "ولا أنا حيٌ فأصدر لي أمراً " كأنه يعد المشاركة في الأعمال الاجتماعية، والحضور الفاعل فيها هو الحياة بعينها، إذ الفراغ من الشواغل الجادة لمن قطع حياته في الجد يكون قاتلاً.

ولذلك ترى الشاعر قد أقام كلامه على رسم المفارقة العجيبة بين حالة في الحاضر وشأنه في الماضي، الذي كان القوم فيه لا يصدرون في شأن من شئون حياتهم إلا عن رأيه، وتعبيره عن هذا كله بقوله: وقد عشت دهراً لا تجن عشيرتي لها ميتا حتى أخط له قبرً تعبير عجيب في قوة دلالته على التحسر والتأزم النفسي.

فهذه النماذج التي قدمها الشعراء في تعبيرهم عن تجربة المشيب والشيخوخة قد كشفت عن كثير من الملامح الإنسانية للنموذج الإنساني في مرحلة المشيب،فكلها يؤكد على حقيقة أن الاغتراب النفسي واقع ملموس في حياة المعمرين كما أنها تمثل صورة للاغتراب عن الذات والمجتمع، حيث يعيش الإنسان في مشيبه منقطعا عن أقرانه عاجزا عن تحقيق ذاته، محاولا أن يثبت وجوده، ولكنه كثيرا ما يجد نفسه عاجزا، ولأنه لا يستطيع أن يتمرد أو يقود تمردا على الجماعة، فإنه يمارس الاغتراب ويكتفي بالتعبير عن الألم والعتاب.

ثالثا : الاغتراب والتعبير عن الذات :

مما لاشك فيه أن عملية الإبداع الشعري قد يستحيل الفصل فيها بين النسيج الفردي والنسيج الجماعي، فالفردية المفترضة في إبداع أي عمل فني لا يمكن لها إلا أن تمدّ جذورها في تربة الجماعية منطلقاً وهدفاً وفكراً، والجماعية المفترضة

Scanned by CamScanner

في موضوعية أي عمل إبداعي لا يمكن لها أن تستحيل إبداعاً فنياً إلا حين تسترفد جهد عبقرية الإبداع الفردي، ثم تتشعب التفاصيل وتتداخل حتى يبدو النص الإبداعي حاصل تمازج معقد لا يمكن فصل دقائقه أو إرجاعها إلى أصول واضحة محددة.

ولقد شغلت مسألة الفصل بين الذاتية والجماعية جهد باحثين محدثين فذهب فريق منهم إلى فهم الأدب على أنه عمل إبداعي مهما بدت بواعثه وأهدافه منتمية إلى الهم الجماعي([١]) وذهب آخرون إلى أنه نشاط اجتماعي مهما بدت صيغته دالة على تفرد مبدعه([٢]) وتوسط آخرون فنظروا إلى تمازج الفردية والجماعية حتى ذهب بعضهم إلى تشخيص مقطع ذاتي ومقطع جماعي في العمل الإبداعي الواحد([٣]).

والشاعر الجاهلي كما بينا على الرغم من انتمائه لقبيلته إلا أنه قد ظهرت عنده نزعة الاغتراب والإحساس بالألم لما أوضحناه من أسباب دفعته إلى مثل هذا الاغتراب والألم، فهو في بعض شعره مغترب عن زمانه ومكانه ومجتمعه مُنْتَمٍ إلى ذاته وحدها في همه الإبداعي، وكانت ذاته هي محور صياغة التجربة.

وأول ما يقابلنا من تعبير الشاعر الجاهلي عن ذاته وما يدور في نفسه من أفكار وما يحسه من مشاعر وأحاسيس، ما نجده في المقدمة االطللية التي كانت أكثر حضورا عن غيرها من المقدمات فهي ((تزخر بالحياة وتتدفق بها تدفقا حتى لتكاد تسمع من خلالها نبضات قلوب الشعراء وخفقانها، ونحيبهم وعويلهم، وحتى لتكاد تتخيلهم بل تراهم وهم يذرفون الدموع بغزارة وحرارة)) [١]، وقد أفضنا في الحديث عن ذلك في مبحث الاغتراب والطلل.

---

(١) مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي د/ حسين عطوان ص١٢٨ ط دار المعارف.

Scanned by CamScanner

وكما تضمنت المقدمة الطللية حديث الشاعر عن ذاتـه وأحوالـه الفرديـة، ومشاعره الحزينة التي برزت في هذه المقدمات كما بينا، نجد المقدمة الغزليـة التي لم تكن أقل شأنا منها، إذ تضمنت حديث الشاعر عن عواطفه ومشاعره من خلال حديثه عن محبوبته، وصدها وهجرها وبينها، وما يترتب عليه من إحساس بالحزن والألم، فإحساس الشاعر بالاغتراب دفعه إلى الحديث عن نفـسه حـديثا شجويا من خلال علاقته بمن أحب، وهذا ما نلاحظه في مقدمة الحـادرة التـي استهلها بقوله[1]:

بكرت سمية بكرة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يربع
وتزودت عيني غداة لقيتها بلوي البنينة نظرة لم تقلع
وتصدفت حتى استبتك بواضح صلت كمنتصب الغزال الأتلع
وبمقلتي حوراء تحسب طرفها وسنان حرة مستهل الأدمع
وإذا تنازعك الحديث رأيتها حسنا تبسمها لذيذ المكرع

فالشاعر يبدأ مقدمته الغزلية بهذه المعـاني الـشجية التـي كـشفت عـم مشاعره وأحاسيسه تجاه محبوبته في ساعة رحيلهـا، وفراقهـا فـرا جعلـه لا يغفل بصره عن النظر إليها، ثـم أخـذ الـشاعر بخيالـه يـسترجع ذكرياتـه الجميلة مع محبوبته.

وكذلك يظهر التعبير عن الذات الناتج عـن الإحـساس بـالاغتراب عنـد طرفة بن العبد، إذ تشكل المرأة دورا هامـا فـي تعبيـر طرفـة عـن ذاتـه،

---

(١) المفضليات للمفضل الضبي شرح ابن الأنباري ص ٤٨ ط دار المعارف.

Scanned by CamScanner

فنراه يواجه عالم المرأة بأدوات الشاعر الجاهلي نفسها، فهو يصور العلاقة مع المرأة حرماناً يروض النفس ويستدر من ذلك الحرمان أرضية تشكيل المعاناة المفترضة في مقاطع النسيب والطلل بوجه عام، بيد أن المتأمل لبعض لوحات نسيب طرفة يسبر غور حالة اغتراب تبدو حالة الحب معها تفرداً بمعاناة من نمط خاص، فهو إذ يصور وجده الملتهب بين الأضلاع يطرح صورة تفرده في مواجهة المعاناة، فلا رفيق سفر يقف معه على طلل الراحلين ولا أنيس وحشه يسرّي عنه وينسيه بعض ما يعتمل بين الأضلاع إذ يقول :

مَن عائدي الليلة أم مَن بتُّ بنَصب ففؤادي قريح

وتمتد أرضية التفرد والاغتراب لتكون غلالة صورة الحبيبة نفسها، فهو حين يقرن صورتها بصورة الظبية يصر على أن تكون تلك الظبية منفردة عن مجموعتها التي تنتمي إليها:

خذولٌ تراعي رَبْرَباً بخميلة تناولُ أطرافَ البرير وترتدي

وتشتعل حدة التعبير عن الذات المغتربة عند طرفة حين يصور اغترابه عن المرأة واغتراب المرأة عنه فلا يجدها إلا في عالم الحلم والخيال في لوحة الطيف التي يقل وجودها في الشعر الجاهلي فيقول :

Scanned by CamScanner

سما لكَ من سلمى خيالٌ ودونَها سوادُ كثيب عرضُهُ فأمايلُهْ
فذو النير فالأعلامُ من جانب الحمى وَقَفٌ كظهر الترس تجري أساجلُهْ
وأنّى اهتدت سلمى وسائلَ بيننا بشاشة حب باشرَ القلبَ داخلُهْ
وكم دون سلمى من عدوٍّ وبلدة يحارُ بها الهادي الخفيفُ ذلاذلُهْ
يظلُّ بها عيرُ الفلاة كأنهُ رقيبٌ يخافي شخصَهُ ويضائلُهْ
وما خلتُ سلمى قبلَها ذات رجلة إذا قسْوريُّ الليل جيبت سرابلُهْ
وقد ذهبتْ سلمى بعقلك كلِّه فهل غيرُ صيد أحرزتهُ حبائلُهْ

ويشكل الإحساس بالغربة نمطاً من الأرضية المشتركة بين لوحة الافتتاح بالنسيب ومحور القصيدة الموضوعي أحياناً، فالمرأة التي ترحل وتخلف الشاعر لوحدته تكتشف من خلال حوارها معه أنه كان يعاني الغربة نفسها قبل أن تنعقد بينه وبينها أواصر الحب، فهو مغترب أبداً قبل التجربة وخلالها وبعدها، وتلك هي المأساة التي بدا عاجزاً عن الإفلات من براثنها، فيقول معبرا تعبيرا ذاتيا عما يدور في نفسه تجاه ذلك :

قفي ودّعينا اليوم يا ابنة مالك وعوجي علينا من صدور جمالك
قفي لا يكنْ هذا تعلّةَ وصلنا لبين ولا ذا حظّنا من نوالك
أخبّرك أنّ الحيَّ فرّقَ بينهم نوى غربة ضرّارة لي كذلك
ولم ينسني ما قد لقيتُ وشفّني من الوجد أني غيرُ ناس لقاءَك
وما دونَها إلا ثلاثٌ مآوب قُدرنَ لعيس مُسْنفات الحوارك
ولا غروَ إلا جارتي وسؤالَها ألا هل لنا أهلٌ؟ سُئلت كذلك
تعيّرُ سيري في البلاد ورحلتي ألا ربَّ دار لي سوى حرِّ دارك
وليس امرؤٌ أفنى الشباب مجاوراً سوى حيِّه إلا كآخرَ هالك

Scanned by CamScanner

ونلمح في هذا التعبير الذاتي غربة الروح التي تبحث عن استقرارها بين ربوع الأهل، أو في ديار المحبوبة، فلا تجد استقرارها هنا أو هناك، ثم يبقى الخلاص من هذه الآلام والأوجاع ضربا من الحلم لا يتيحه إلا نبض الشعر حين يترجمه الشاعر آنات ذاتية تكشف عن إحساس خفي بالاغتراب.

وكذلك نلمح النزعة الذاتية في حالات الجفوة التي تحدث بين الشعراء وقبائلهم، وهذا ما نلاحظه في شعر طرفة بن العبد أيضا حين خلعته قبيلته فأعلن خروجه وتمرده عليها، وراح يشدوا بفيض شعره الذاتي معبرا عما أصابه من آلام وجراح.

وكان طرفة بن العبد ينتمي إلي قبيلة قيس بن ثعلبة، وهي فرع من فروع بكر بن وائل، ولقد وقع على أمه وأولادها ظلم كبير من أعمامه عند تقسيم ميراث أبيه، مما كان سببا في لهوه وعبثه وإحساسه بالألم والاغتراب خاصة أن هذا الظلم كان من أهله وعشيرته مما عمق هذا الإحساس في نفسه، فنراه يقول[1]:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

ولقد عبر طرفة عن ذلك في مواجهته لظلم أعمامه مدافعا عن حقه وحق أمه (وردة)، فوقف منفردا معبرا عن ذاته قائلا :

---

(١) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق علي الجندي ص١٨٤ مطبعة الأنجلو.

Scanned by CamScanner

ما تنظرون بحقٍّ وردةَ فيكمُ صغرَ البنونَ ورهطُ وردةَ غيَّبُ

قد يبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُهُ حتى تظلَّ لـــه الدماءُ تصبَّبُ

والظلمُ فرّق بين حيَّي وائل بكرٌ تساقيها المنايا تغلب

والإثم داء ليس يرجى برؤه والبر برء ليس فيه معطب

والصدق يألفه اللبيب المرتجى والكذب يألفه الدنيء الأخيب

أدوا الحقوق تفر لكم أعراضكم إن الكريم إذا يحرب يغضب

وحين نمضي في استقراء شعر طرفة نجد العديد من النماذج التي تعبر عن ذاتيته النابع من إحساسه بالاغتراب، ونلحظ ذلك في مطولته التي شكا فيها مـــن موقف الأهل الذين الذين نذر النفس من أجلهم فما كان جزاؤه إلا هذه الجفوة التي كان وقعها على النفس وقع الحسام المهند، فيقول معبرا عن ذلك[1] :

فما لي أراني وابنَ عميَ مالكاً متى أدنُ منه ينأَ عني ويبعد

يلومُ وما أدري علامَ يلومني كما لامني في الحيِّ قرطُ بنُ معبد

وأيأسني من كل خير طلبتُه كأنّا وضعناه إلى رمس ملحد

وقرَّبتُ بالقربى وجدِّك إنني متى يك أمر للنكيثة أشهد

وإن أُدْعَ للجلّى أكنْ من حماتها وإن يأتكَ الأعداءُ بالجهد أجهد

وإن يقذفوا بالقذع عرضكَ أسقهم بكأس حياض الموت قبل التهدّد

بلا حدث أحدثتَهَ أو كمحدث هجائي وقذفي بالشكاة ومطردي

فلو كان مولاي امرأً هو غيرُه لفرّجَ كربي أو لأنظرني غدي

ولكنّ مولايَ امرؤٌ هو خانقي على الشكر والتسآل أو أنا مفتد

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةٌ على المرء من وقع الحسام المهند

Scanned by CamScanner

لقد عبر طرفة عن تفرده وبروز ذاته في هذه اللمحات الفكرية التي بثها في عدد من موضوعات نصوصه وقرر من خلالها التعبير عن ذاته المتفردة، ولعلها كانت نتاج ظلم الأعمام وتنكر الأهل وتخلي القبيلة، إنه يسعى بشكل محموم إلى أن يمنح ذاته هوية البطولة الفردية التي تستمد عظمتها من الذات وتفردها، فيقول :

وأنمي إلى مجد تليد وسورة تكونُ تراثاً عند حيٍّ لهالك
أبي أنزلَ الجبارَ عاملُ رمحه عن السرج حتى خرَّ بين السنابك
وسيفي حسامٌ أختلي بذبابه قوانسَ بيض الدارعينَ الدوارك

ويشكل السلاح الشخصي أرضية تلك الفروسية المتفردة التي أراد طرفة أن يقيمها هوية لوجوده الإنساني فهو يعود إلى الصورة في أكثر من نص شعري، فنجده يقول :

أنا الرجلُ الضربُ الذي تعرفونه خشاشٌ كراسي الحية المتوقِّد
فآليتُ لا ينفكُّ كشحي بطانةً لعضب رقيق الشفرتين مهنَّد
حسام إذا ما حمتُ منتصراً به كفى العَودَ منه البدءُ ليس بمعضَد
أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة إذا قيل مهلاً قال حاجزُه قُد
إذا ابتدر القومُ السلاحَ وجدتني منيعاً إذا بُلَّتْ بقائمه يدي

ولم تقف ذاتية طرفة عند ذلك بل استمرت في ثنايا فخره بشجاعته، وجرأته وسرعة استجابته للخطوب، كما برزت ذاتيته كذلك في تعبيره عن مجالس اللهو

---

(١) ديوان طرفة ص ٢٠٩

Scanned by CamScanner

والعبث التي انشغل بها في فترة من حياته نتيجة للظروف التي عاشها وإحساسه بالألم والاغتراب.

ونجد كذلك ألوانا متعددة من التعبير عن الذات عند عنترة العبسي الذي ((أصابه في دور النشأة ما أصابه من أمور الخدمة ورعي الماشية بسبب عبوديته، لأنه ابن أمة سوداء تسمى (زبيبة)، وكان من عادات العرب ألا يلحقوا أولاد الإماء بنسبهم إلا إذا كان لهم فضل يؤثر)) [1].

ولقد عبر عنترة عما كان يلاقيه من ذل الخدمة وهوان العبودية بقوله :

المال مالكم والعبد عبدكم فهل عذابك عني اليوم مصروف

وظل الصراع قائما بين عنترة وقومه ((فكان ذلك سببا في خروجه على القبيلة، وإعلان الثورة عليها، والاعتماد على نفسه، وأخذه بالأسباب التي تؤهله للخلاص من هذا الذل والهوان، حتى سنحت له الفرصة التي حققت له ادعاء أبيه له)) [2]، وهذا ما حدث حين ((أغارت بعض أحياء العرب على بني عبس، فأصابوا منهم واستاقوا، وعنترة يومئذ فيهم، فقال له أبوه : كر، فقال : العبد لا يحسن الكر، ولكنه يحسن الحلاب والصر، فقال : كر وأنت حر، فكر، وقاتل قتالا حسنا، فادعاه أبوه بعد ذلك وألحقه بنسبه)) [3].

---

(١) الروائع من الشعر العربي ٣٠٦/١.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بجرجا العدد الثامن ص ٢٩٩ بحث بعنوان (النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي) د/ حفني محمود مصطفى.

(٣) الأغاني للأصفهاني ٢٣٧/٨ ط الشعب.

Scanned by CamScanner

وعلى الرغم من إظهار عنترة لبطولة فائقة في الدفاع عن قبيلته إلا أنه لم يسلم من الحاقدين الذين ظلوا على الاستهزاء به والسخرية منه، فأنشد قصيدته التي تحدث فيها عن قوته وشجاعته، وصرامة سيفه التي أعادت إلى أمه كرامتها، ثم استمر في التغني بقوته وشجاعته وقت نشوب الحرب، والتحام الخيول، وشدة وطيس القتال، والأبطال ينظرون بلحاظ عيونهم إلى من يحمي ذمارهم، فكان عنترة في كرمه، وإقدامه على أعدائه خير فارس في قومه ممن بينهم الأعمام والأخوال، وذلك في قوله[1] :

إني امرؤ من خير عبس منصبا شطري وأحمي سائري بالمنصل
إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا أشدد وإن يلفوا بضنك أنزل
حين النزول يكون غاية مثلنا ويفر كل مضلل مستوهل
ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل
وإذا المتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيرا من معم مخول
والخيل تعلم والفوارس أنني فرقت جمعهم بطعنة فيصل
إذ لا أبادر في الميق فوارسي ولا أوكل بالرعيل الأول

فكذلك ظهرت ذاتية عنترة في موضع الفخر ببطولته وشجاعته كما ظهرت في أثناء حديثه عن صبابته وحرمانه، وهو بذلك يهون على نفسه مشاعر الغربة والإحساس بالذل والهوان، محولا إثبات ذاته بين قبيلته.

وتتعدد نماذج التعبير عن الذات في الشعر الجاهلي وبخاصة في تلك النماذج التي تبلورت من مشاعر الألم والإحساس بالاغتراب، ونج مثل

---

(١) ديوان عنترة ص٥٧.

Scanned by CamScanner

هذ في شعر عدي بن زيد العبادي شاعر الحيرة الذي وشى به الواشون عند النعمان بن اللمنذر، فاستدعاه النعمان ثم وضعه في السجن، فأنشد عدي يقول[1] :

ليت شعري عند الهمام ويأتيـ ـك بخبر الأنباء عطف السؤال
أين عنا أخطارنا المال والأنفـ ـس إذ ناهدوا ليوم المحال
ونضالي في جنبك الناس يرمو ن وأرمي وكلنا غير آلي

وفي موضع آخر نلمح أحاسيسه الذاتية بوضوح في شعوره بالليل وطوله، وكثرة ما به من هموم وأحزان لازمته في سجنه، فأسهدت جفنه، وجعلته في سهر دائم، عبر عنه في قوله[2] :

طال ذا الليل علينا واعتكر وكأني ناذر الصبح سمر
من نجي الهم عندي ثاوي فوق ما أعلن منه وأسر
وكأن الليل فيه مثله ولقد ما ظن بالليل القصر
لم أغمض طوله حتى انقضى أتمنى لو أن الصبح حشر
غير ما عشق ولكن طارق خلس لنوم وأجداني السهر

وتصل حالة الألم بعدي بن زيد درجة كبيرة حتى نجده (يستغيث بمن يبلغ النعمان بن المنذر عن حالته النفسية والجسدية، وشدة معاناته من السلاسل والأغلال التي أطبقت علي يديه ورجليه وعنقه، وكذلك حرمانه مما كان يتمتع به قبل سجنه من مال وجاه، وفقدانه لأحبائه وأخلائه،

---

(١) الأغاني للأصفهاني ٢/١٠٢.
(٢) المرجع السابق ٢/١٠٤.

Scanned by CamScanner

وممن يؤازره في كربه إلا نساؤه اللاتي لا يكففن عن البكاء والنياح لما آلت عليه حالته)[1].فنجده يقول[2] :

ألا من مبلغ النعمان عني وقد تهدى النصيحة بالمغيب
أحظى كأن سلسلة وقيدا وغلا والبيان لدى الطبيب
وهم أضحو لديك كما أرادوا وقد ترجى الرغائب من مثيب
أتاك بأنني قد طال حبسي فلم تسأل بمسجون حريب
ومالي ناصر إلا نساء أرامل قد هلكن من النحيب
يحدرن الدموع على عدي كشن خانه خرز الريب

فهذه النماذج وغيرها من المقطعات والقصائد[3] في شعر عدي تكشف عن مشاعره وأحاسيسه الذاتية تجاه واقعه المؤلم، ومكابدته آلام الأسر والفراق، وشعوره بالذلة بعد العزة مما دفعه أن يطلق صرخات مدوية يخفف به من نزعاته النفسية الأليمة.

ولو تتبعنا مسيرة الشعر الجاهلي لوجدنا العديد من النماذج التي يعبر فيها الشعراء عن ذاتهم، فهذا السود بن يعفر النهشلي يقول[4] :

---

(١) مجلة كلية اللغة العربية بجرجا العدد الثامن ص ٣١٩ بحث (النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي) د/ حنفي محمود مصطفى.

(٢) الأغاني ٢/١١٠.

(٣) انظر ديوان عدي بن زيد ص ٣٤، ٥٦، ٥٩، ١٢٣.

(٤) المفضليات للمفضل الضبي ص ٢١٦.

Scanned by CamScanner

نام الخليُّ وما أُحسُّ رُقادي والهمُّ مُحتضرٌ لدي وسادي
من غير ما سقم ولكن شفَّني همٌّ أراه قد أصاب فؤادي
ومن الحوادث لا أبا لك إنني ضُربتْ عليَّ الأرضُ بالأسْداد
ولقد علمتُ سوى الذي نبأتني أنَّ السّبيلَ سبيلُ ذي الأعواد

فهو هنا يعبر عن ذاته الساهرة وحدها ليلا تكابد الهموم، وقد ضاقت عليها الأرض، ويجعل الشاعر نفسه المتفردة وحدها المسئولة عما أصاب قومه.

كما نرى النابغة يدعو محبوبته وكأنها ذاته يخاطبها أن تدعه لليل الذي يرتبط بالألم والأرق، فهي تحاول أن تصرفه عن تلك الآلام التي تتصل بمصيره، وأن تشغله عنها.

ولهذا فإن طلب الشاعر لها أن تدعه لهمومه يبدو وكأنه طلب للخلود إلى ذاته يكابد معها الآلام بالليل، ويتجسد ذلك بوضوح من خلال إحساس الشاعر ببطء حركة الليل، وإحساس الشاعر بطوله حتى أيقن أنه لن ينتهي، فيقول معبرا عن ذلك :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلتُ ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بآيب
وصدرٌ أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزنُ من كل جانب

ولما كان الليل قد ارتبط في وجدان الشاعر الجاهلي بالمخاوف والأهوال، وبالهموم والأحزان، فإنه قد عبر عن ذاته تعبيرا يحاول من خلاله عبور الليل وما فيه في تلك الصحراء المجهولة، وفي ذلك يقول الشنفرى[1] :

---

(١) مختارات من شعراء العرب ص ٩٩.

Scanned by CamScanner

وليلة صرٍّ يصطلي القوسَ ربُّها وأقطعه التي بها يتنبّلُ
دعستُ على غطْش وصُحبتي سُعارٌ وإرزيزٌ ووجر وأفكَل

ومن النماذج الفريدة في التعبير عن الذات ومعاناتها ومعايشتها لتجربة الفقد قصيدة أبي ذؤيب الهذلي في رثاء بنيه حين يقول[1] :

أمن المنون وريبها تتوجع والهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أميمة ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعا إلا أقضَّ عليك ذاك المضجعُ
فأجبتها أما لجسمي إنه أمضَى بنيَّ من البلاد فودعوا
أودى بنيَّ وأعقبوني غُصَّةً بعد الرقاد وعبرة لا تقلع
سبقوا هويَّ وأعنقوا لهواهم فتُخرِّموا ولكل جنب مصرع
فغبرت بعدهم بعيش ناصب وإخال أني لاحقٌ مستتبع

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم فإذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيتَ كل تميمة لا تنفع

فهذه الأبيات تكشف عن الألم الذي يعانيه الشاعر، والصور التي أصبح عليها من الشحوب والضعف بعد فقد أولاده، وتتوالى الصور في القصيدة كلها مصورة آلام الشاعر وأحزانه والتعبير عن ذاته التي أحست الغربة في الدنيا لفقد أبنائه.

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٢.

Scanned by CamScanner

وقد وجدت النزعة الذاتية المشحونة بالقلق والاضطراب أيضا عند الشعراء الصعاليك الذين تمردوا على قبائلهم حين لم يرتضوا بما فيها من أنظمة اجتماعية يرون فيها الظلم والإجحاف، مما دفعهم إلى الثورة والتمرد والخروج عليها، مفضلين حياة التوحش والتفرد على الحياة في هذا المجتمع.

وهذا عروة بن الورد يكشف عن هذا الواقع الأليم، ويكشف عن رفضه لهذا الواقع ومعاناته منه لما فيه من قسوة وبعد عن الجادة، فيقول[1] :

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح عليه ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من حياته فقيرا ومن مولى تدب عقاربه

ولقد عاش عروة في قبيلته حياة كلها هموم ومعاناة وقسوة، فحياته كلها تملكها الجفاء والازدراء، ويصور ذلك في قوله[2] :

هم عيروني أن أمي غريبة وهل في كريم ماجد ما يعير
وقد عيروني المال حين جمعته وقد عيروني الفقر إذ أنا مقتر
وعيرني قومي شبابي ولمتي متى ما يشأ رهط امريء يتعير

ونجد التعبير عن الذات واضحا أيضا عند الشنفرى الذي أخذ ينطلق في التعبير عن حياته وسلوكياته ومغامراته في الصعلكة تعبيرا متحررا، فبعد أن رسم صور واضحة لحياة الصعلكة بكل مقوماتها انتقل للحديث عن ذاته وما

---

(١) ديوان عروة بن الورد ص ٢٩.

(٢) المرجع السابق ص ٦٧

Scanned by CamScanner

تتصف به من فضائل فهمت من عكس الصفات التي ذكرها في لاميته، فيقول[1]:

وإني كفاني فقد من ليس جازيا بحسني ولا في قربه متعلل[2]
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع وأبيض إصليت وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد نيطت إليها وحمل
إذا زال عنها السهم حنت كأنها مرزأة عجلىترن وتعول
ولست بمهياف يعشى سوامه مجدعة سقبانها وهي بهل
ولا جبأ أكهى مرب بعرسه يطالعها في شأنه كيف يفعل
ولا خرق هيق كأن قفؤاده يظل به المكاء يعلو ويسفل
ولا خالف داريه متغزل يروح ويغدو داهنا يتكحل
ولست بعل شره دون خيره ألف إذا ما رعته أهتاج أعزل
ولست بمحيار الظلام إذا انتحت هدى الهوجل العسيف يهماء هوجل

---

(١) الشنفرى شاعر الصعاليك د / عبد الحليم حفني ص ١٢٦ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) التعلل : التلهي، مشيع : شجاع، إصليت : صقيل، صقراء عيطل : قوس طويلة العنق، الهتف : الصوت المنغم، الملس : الناعم، الرصائع : جمع رصيعة وهي ما يرصع به أي يحلى به، نيطت : علقت، المحمل : ما يعلق به السيف، زل السهم : خرج، حنت : صوتت، المرزأة : كثيرة الرزايا، عجلى : مسرعة، ترن وتعول : ترفع صوتها بالعويل والبكاء، المهياف : السيء التدبير، السوام : الماشية، مجدعة : سيئة الغذاء، السقبان : جمع سقب وهو ولد الناقة الصغير الذكر، بهل : الناقة التي لا صرار عليها، جبأ : جبان، ألهى : أبخر، مرب : ملازم، الخرق : المضطرب من الخوف، الهيق : الظليم، المكاء : =نوع من الطيور، الخالف : التافه، دراية : المقيم في داره، متغزل : من يغازل النساء،

Scanned by CamScanner

فهذه بعض النماذج الشعرية المتنوعة التي تكشف عن بروز النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي وارتباطها ارتباطاً وثيقاً بنفسية الشاعر الجاهلي حين عبرت عن أفراحه وأتراحه، وعن معاناته وأشجانه، وإن كانت قد تلونت من هذه النماذج ما تنور من جوانب الشاعر الجاهلي بالاغتراب والألم.

مع العلم أن ما أتينا به هنا كان على سبيل الاستشهاد فقط، وفي دواوين الشعراء الجاهليين فيض كثير من الشعر الذي يعبر عن عواطفهم الغربية ومشاعرهم الذاتية التي تعبر عن معاناتهم في هذه البيئة التي عاشوا فيها وكذلك لظروف حياتهم مما جعل نزعة الاغتراب والألم عنصراً بارزاً في أشعارهم.

النغف : نغف - وهو حشرة صغيرة مثل الدود ومن الرجال الضئيل الضعيف، نور : كُر- ف : ضعيف، أعزل : لا سلاح معه، المحير : المتحير، نحت : عرضت وقسمت، [illegible] : الرجل الأحمق، البيداء : الصحراء، هوجل : مقفرة.

Scanned by CamScanner

مصادر البحث ومراجعه

(١) الأدب الأندلسي د / مصطفى الشكعة ط دار العلم للملايين ط٤ ١٩٧٩.

(٢) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص د / حسني يوسف عبد الجليل ط مؤسسة المختار.

(٣) أدب المهجريين د / نظمي عبد البديع ط دار الفكر بيروت.

(٤) الاغتراب سيرة مصطلح د/ محمود رجب ط دار المعارف ط٢ ١٩٨٦.

(٥) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ط دار الشعب.

(٦) الأمالي لأبي علي القالي ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٧) تأملات معاصرة في التراث الفكري الإسلامي د / سامي نصر لطفي ط مكتبة سعيد رأفت.

(٨) تيارات معاصرة في التراث العربي د / سعد دعبيس ط دار الثقافة.

(٩) دراسات في الشعر الجاهلي د/ يوسف خليف ط مكتبة غريب.

(١٠) ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار المعارف.

(١١) ديوان حاتم الطائي دار صادر بيروت ١٩٨١.

(١٢) ديوان الحادرة تحقيق د/ ناصر الدين لأسد ط صادر بيروت ١٩٧٣.

(١٣) ديوان الحماسة لأبي تمام شرح التبريزي ط عالم الكتب.

(١٤) ديوان زهير بن أبي سلمى ط الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤.

(١٥) ديوان شعر الخوارج جمع وتحقيق د / إحسان عباس ط الشروق ط ٤.

(١٦) ديوان الشنفرى تحقيق عبد العزيز الميمني ط لجنة التأليف والنشر ١٩٣٧.

Scanned by CamScanner

(١٧) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق علي الجندي مطبعة الأنجلو.

(١٨) ديوان عبيد بن الأبرص تحقيق سير شارلس ليال ط دار المعارف.

(١٩) ديوان عدي بن زيد تحقيق / محمد جبار المعيبد ط مطبعة الجمهورية بغداد سنة ١٩٦٥.

(٢٠) ديوان عمرو بن قميئة تحقيق حسن كامل الصيرفي ط دار الكاتب العربي ١٩٧٠.

(٢١) ديوان عنترة ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥.

(٢٢) ديوان المثقب العبدي تحقيق حسن كامل الصيرفي طالشركة المصرية للطباعة والنشر ١٩٧١.

(٢١) ديوان الهذليين ط الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة.

(٢٣) الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي د / صلاح عبد الحافظ ط دار المعارف ١٩٨١.

(٢٤) الروائع من الأدب العربي د / سيد حنفي وآخرين ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢٥) زهير بن أبي سلمى د/عبد الحميد سند الجندي ط المؤسسة المصرية العامة.

(٢٦) شرح المعلقات السبع د / سليمان العطار ط دار الثقافة للنشر والتوزيع.

(٢٧) شعرية التفاوت مدخل لقراءة الشعر العباسي د/ محمد مصطفى أبو شوارب ط دار الوفاء.

(٢٨) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية د/ كريم الوائلي ط دار العالمية للطباعة والنشر وللتوزيع.

Scanned by CamScanner

(٢٩) الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية د/ إبراهيم عبد الرحمن ط مكتبة الشباب.

(٣٠) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي د / يوسف خليف ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر ط دار المعارف.

(٣٢) شعراء النصرانية الأب لويس شيخو ط مكتبة الآداب.

(٣٣) الشيب والشباب في الشعر العربي د / عبد الرحمن محمد هيبة ط الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية.

(٣٤) الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي شرح وتعليق علي متولي صلاح ط المطبعة النموذجية.

(٣٥) ظاهرة الاغتراب في فن التصوير المعاصر ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣٦) العصر الجاهلي د / شوقي ضيف ط دار المعارف ط١٤.

(٣٧) فجر الإسلام أحمد أمين ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣٨) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي إيليا الحاوي ط دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٠.

(٣٩) لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف.

(٤٠) مطلع القصيدة العربية د/عبد الحليم حفني ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٤١) معجم البلدان لياقوت الحموي ط القاهرة.

(٤٢) المعمرون والوصايا للسجستاني تحقيق عبد المنعم النمر ط عيسى الحلبي.

Scanned by CamScanner

(٤٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ط الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٤٤) المفضليات للمفضل الضبي شرح ابن الأنباري ط دار المعارف.

(٤٥) مقدمة القصيدة الجاهلية عبد الله محمد صادق ط دار الفكر العربي.

(٤٦) مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي د/ حسين عطوان ط دار المعارف.

(٤٧) مقاييس اللغة للفيروزبادي ط دار المعارف.

(٢) من الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي د /سعد ظلام ط مؤسسة يوم للمستشفيات.

(٤٨) من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي د / محمد عويس ط دار الأنجلو.

(٤٩) هاشم الرفاعي اغتراب وألم.

Scanned by CamScanner

فهرس الدوريات

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالقدس (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الخامس عشر العدد الثاني، سنة ٢٠٠٧م.

(٢) مجلة عالم المعرفة العدد الأول ١٩٧٩ الكويت

(٣) مجلة العربي الكويتية عدد ١٩٠ سنة ١٩٧٤.

(٤) مجلة كلية الآداب بغداد العدد١٣ سنة ١٩٧٠.

(٥) مجلة كلية اللغة العربية بجرجا العدد الثامن.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner